# بلاد الجزيرة

## قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه

اللواء الركن محمود شيت خطاب

**فرزة من : مجلة المجمع العلمي العراقي**

الجزء الاول – المجلد السادس والثلاثون

رجب ١٤٠٥ هـ
آذار ١٩٨٥ م

الجزء الاول

المجلد السادس والثلاثون

# مجلة المجمع العلمي العراقي



شعبان ١٤٠٥ هـ
نيسان ١٩٨٥ م

# بلاد الجزيرة

## قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه

اللواء الركن محمود شيت خطاب
( عضو المجمع )

### الموقع والحــدود

كان العرب يسمون بلاد ما بين النهرين العليا بالجزيرة ، لان أعالي دجلة والفرات كانت تكتنف سهولها .

وكانت الجزيرة تنقسم الى ثلاث ديار : ديار ربيعة ، وديار مُضَر وديار بكر ، نسبة الى القبائل العربية : ربيعة ومُضَر وبَكْر ، التي نزلت الجزيرة قبل الاسلام ، فعرف كل من هذه الديار بقبيلته .

وكانت مدينة الموصل على دجلة ، أجل مدن ديار ربيعة . وكانت مدينة الرقة على الفرات ، قاعدة ديار مضر . وآمِد في أعالي دجلة ، أكبر مدن ديار بكر ، ومدينة ديار بكر هي أقصى هذه الديار شمالا .

على أن قسماً من البلدانيين العرب القدامى ، أطلقوا على الجزيرة اسم : أقور ، كالمقدسي وياقوت الحموي ، وأصل اسم : أقور ، غير واضح ، ويبدو أنه الاسم القديم للجزيرة .

واذا رجعنا الى الخريطة ، تبين لنا أن دجلة والفرات في بلاد مابين النهرين العليا ، يستقبلان روافدهما كلها من يسارهما ، فقد كانت هذه الروافد تنحدر اليهما من شمالهما الشرقي أو من الشمال • وقد شذ عن هذه القاعدة في القرون الوسطى ، انصراف ماء نهر الهرماس ( نهر نصيبين ) الآتي من نصيبين• والهرماس رافد الخابور الكبير ، فمياه الهرماس قد سكرت فوق موضع اجتماعه بالخابور بسُكَير العباس ، فبينما كان قسم من مائه يجري فيلتقي هو والخابور الذي يصب في الفرات عند مدينة قَرِقيْسِياء ، كانت مياه نهر الهرماس نفسه تنصب في يمين دجلة عند تكريت ، بعد أن تجري في واد يقال له : الثرثار ، والثرثار نهر يخرج من الهرماس ، أوله من عند سُكَير عباس ، يمر في وسط البرية ويصب في دجلة أسفل من تكريت بعد أن يمر بمدينة الحضر التاريخية •

لهذا فقد عينت حدود الديار الثلاث هذه الفواصل المائية ، فقد كانت ديار بكر ، وهي سقى دجلة من منبعه الى منعطفه العظيم في الجنوب الى أسفل تل فافان [1] مع ما في شمالها من أرض تسقيها روافد دجلة الكثيرة التي تصب في يساره غربي تل فافان •

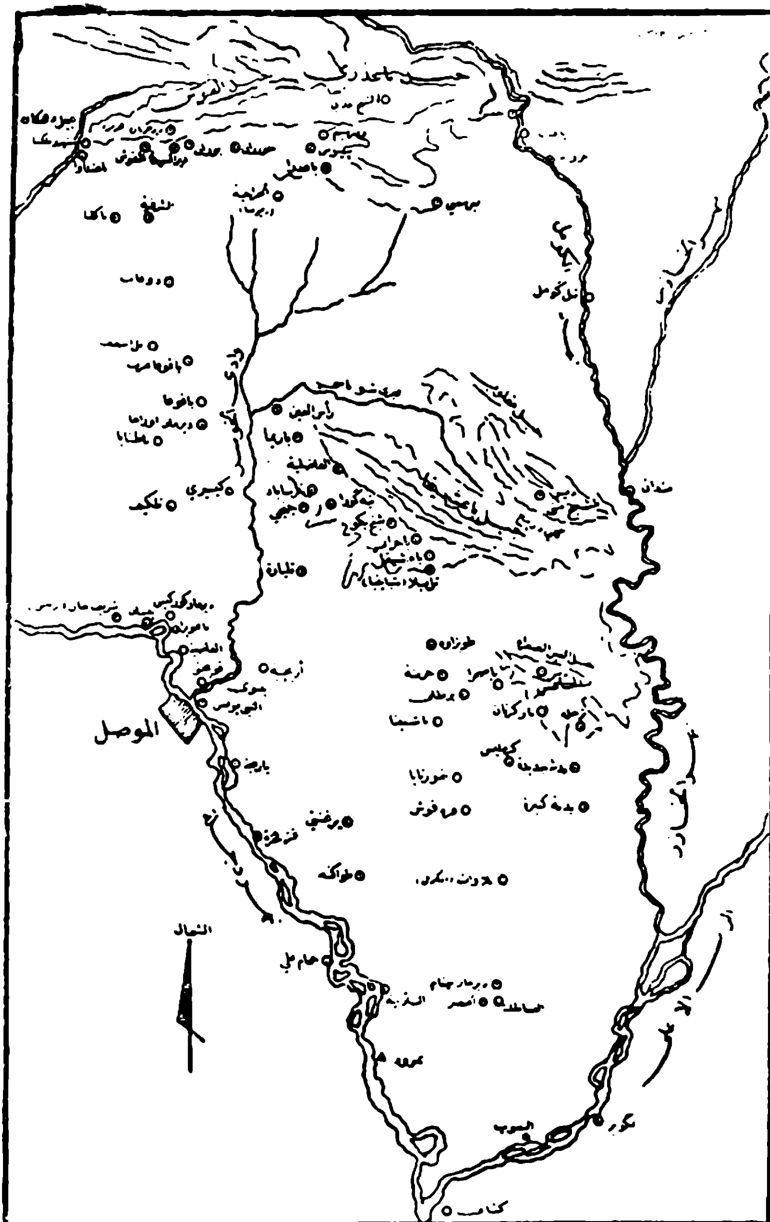
وكانت ديار مضر الى الجنوب الغربي ، هي الارض المحاذية للفرات من سميساط ، حيث يغادر سلاسل الجبال منحدراً الى مدينة عانة مع السهول التي يسقيها نهر البليخ [2] رافد الفرات الآتي من حران •

أما ديار ربيعة ، فقد كانت في شرق ديار مضر ، وتتألف من الارض التي في شرقي الخابور الكبير ( خابور الفرات ) المنحدر من مدينة رأس العين ومن

---

(١) فافان : موضع على دجلة تحت ميافارقين يصب في دجلة عند وادي الرزم ، انظر معجم البلدان ( ٣٣٢/٦ ) .

(٢) نهر البليخ : اسم نهر بالرقة يجتمع فيه الماء من عيون ، ويصب في الفرات تحت الرقة ، انظر معجم البلدان ( ٢٨٦ ــ ٢٨٧ ) .




خارطة
بأهم مواقع شرقي الموصل

الارض التي في شرقي نهر الهرماس ، وهو النهر المنساب في وادي الثرثار باتجاه الشرق الى دجلة ، وكذلك من الارض على ضفتي دجلة تمتد بانحدار النهر من تل فافان الى تكريت ، أي الارض التي في غرب دجلة حتى نصيبين والتي في شرقه المشتملة على السهول التي يسقيها الزابان الاسفل والاعلى ونهر الخابور الصغير ( خابور دجلة ) •

والجزيرة كما ذكرنا ، هي البلاد التي بين دجلة والفرات ، وقد ضموا كثيراً من البلاد الفراتية التي في الجانب الآخر من الفرات من بر الشام الى الجزيرة ، لقربها من البلاد الجزرية ، مثل : الرحبة وغيرها •• والذي يحيط بالجزيرة الفرات من حدود بلاد الروم ، وهو طرف الحد الغربي الجنوبي للجزيرة ، فيمتد الحد الجنوبي الغربي مع الفرات الى ملطية الى سميساط الى قلعة الروم الى البِيرْةَ الى قبالة مَنْبج الى بالس الى الرقة الى قرقيسياء الى الرحبة الى هِيْت الى الانبار ، ومن الانبار يخرج الفرات عن تحديد الجزيرة ، ثم يعطف الحد من الانبار الى تكريت وهي على دجلة الى السِنّ الى الحديثة على دجلة الى الموصل الى جزيرة ابن عمر آمِد ، ثم يصير الحد غربياً ممتداً بعد أن يتجاوز آمد على حدود ارمينية الى حدود بلاد الروم الى الفرات عند ملطية من حيث ابتدأنا ، فعلى هذا يكون بعض ارمينية وبعض بلاد الروم غربي الجزيرة ، وبعض الشام وبعض البادية جنوبيها ، والعراق شرقيها ، وبعض ارمينية شماليها •

## المــدن

### أولاً . ديار ربيعة

### (١)ـ المَوْصِل (٣)

المدينة المشهورة العظيمة ، احدى قواعد بلاد الاسلام ، قليلة النظـير كِبَراً وعِظَماً وكثرة خلق وسِعة رُقْعة ، فهي محط رحال الركبان ، ومنها يُقصد الى جميع البلدان ، فهي باب العراق ومفتاح خراسان ، ومنها يقصـد الى أذربيجان • وكثيراً ما قيل : ان بلاد الدنيا العظـام ثلاثـة : نَيْسَابُور لأنها باب الشرق ، ودمشق لأنها باب الغرب ، والموصل لان القاصد الى الجهتين قلَّ ما لا يمرّ بها •

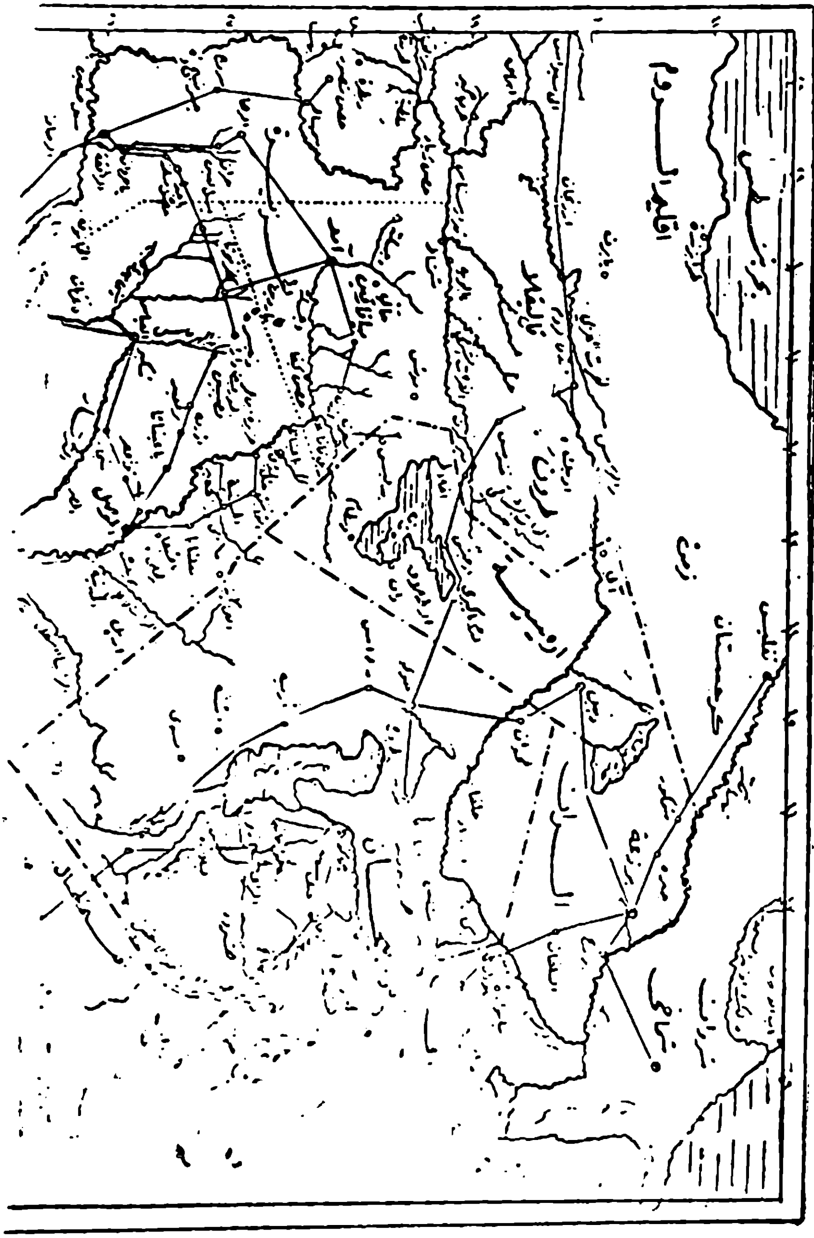
وسميت الموصل ، لأنها وصلت بين الجزيرة والعراق ، وقيل : وصلت بين دجلة والفرات ، وقيل : لأنها وصلت بين بلد سنجار والحديثة ، وقيل : لاتصـال روافد نهر دجلة فيها •

وهي مدينة قديمة ، تقع على ضفة دجلة الغربية ، حيث تتصل روافد نهر دجلة فتؤلف مجرى كبيرا واحدا ، ومقابلها من الطرف الشرقي نينوى ، وهي قاعدة ديار الجزيرة بعامة وقاعدة ديار ربيعة بخاصة •

وعلا شأن الموصل في أيام بني أمية ، ونصب فيها على دجلة جسر سفن يربط المدينة التي في الجانب الغربي بخرائب نينوى التي في الجانب الشرقي • وصارت الموصل في عهد مروان بن محمد آخر ملوك الأمويين قاعـدة اقليم الجزيرة دون منازع ، وبنى فيها الجامع الذي عرف بعدئذ بالجامع العتيق في

(٣) كوركيس عواد ـ تحقيقات بلدانيـة تاريخية في شـرق الموصل ـ مجلة سومر ـ المجلد ١٧ ـ بغداد ـ ١٩٦١ ، وقد استفدت من هذه الدراسة ومن الخريطة المرفقة بها في المعلومات الواردة عن الموصل وما حولها .

اقليما الجزيرة واذربيجان مع اقاليم الحدود الشمالية الغربية



نينوى بازاء الموصل في الجانب الشرقي من دجلة على نحو كيلو مترين من محلة الكوازين حالياً ، ويعرف اليوم باسم : جامع المصفّي ، على اسم الحاج محمد مصفي الذهب الذي جدد بناءه سنة ( ١٢٢٥ هـ ) .

والمدينة حسنة البناء ودورها بهية ، وهي نصف مستديرة ، وفي أعلى البلد قلعة عظيمة ينتظمها سور مشيد البروج ، وقد فصل بين القلعة والبلد شارع متسع يمتد من أعلى البلد الى أسفله .

ودجلة شرقي البلد ، وهي متصلة بالسور ، وأبراجه في مائها ، ومازالت قطعة من هذا السور ترى على النهر اليوم بين بقايا قصر بدرالدين لؤلؤ (قره صراي ) وباش طابية ، وهو البرج الكبير المطل على النهر جنوبي عين كبريت المعروفة في الموصل .

وللبلد ربض كبير ، فيه المساجد والحمامات والخانات والأسواق ، وفيها مستشفى كبير ، وسوق يقال له : القيسارية ، وفي المدينة مدارس للعلم كثيرة.

وحول المدينة خندق كبير عميق ، وكان حولها بساتين كثيرة تسقيها النواعير .

## ٢ ـ نِينَوى :

قرية النبي يونس بن مَتّى عليه السلام ( ذو النون ) ، وترى أطلال نينوى بازاء الموصل في الجانب الشرقي من دجلة ، على نحو كيلو مترين من ضفته ، وقد كان هذا النهر يحاذي سور نينوى في أيام عمرانها ، ويشق نهر الخوسر بقاياها ، فما كان يمينه سمي : تل قوينجق ، وما كان في يساره سمي : تل النبي يونس .

وكانت نينوى من عواصم الآشوريين ، وفيها كان معبد الاله عشتار ، وعظم شأنها في عهد الملك الآشوري سنحاريب ( ٧٠٥ ـ ٦٨١ ق.م ) ، اذ

وسعها وشيد فيها قصوراً ومعابد وثكنات ، وحوطها بسور وخندق ، وقد ظلت عاصمة للآشوريين الى زوال ملكهم بيد الكلدانيين والماديين سنة ( ٦١٢ ق٠ م ) ٠

وقد نقب في تل قوينجق، وهو من أقسام هذه المدينة ، منقبون بريطانيون منذ أواسط القرن التاسع عشر ، وعثر فيه على بقايا قصورها ومعابدها وكثير من آثارها، منها مكتبة آشور بانيبال التي استخرج منها نحو ثلاثين ألف رقيم طين نقلت الى المتحف البريطاني ، وآخر حفرٍ جرى في هذا التل كان سنة خمسين وثلاثمائة وألف الهجرية ( ١٩٣١ م ) ٠

وقد عرفت نينوى بهذا الاسم ، لأنها كانت موضع عبادة الآلهة ( نينا ) منذ أقدم الأزمنة ، وكانت السمكة تعد من الحيوانات المقربة لهذه الآلهة ٠ ويحتمل أن للفظة ( نون ) التي كانت تعني في الآشورية : ( سمكة ) ، صلة بهذا الاسم على نحوٍ ما في العربية واللغات السامية الأخرى ٠

وكانت نينوى محاطة بأسوار عظيمة طولها اثنا عشر ميلا ، ومازالت أطلالها ظاهرة للعيان ، تبدو في سلسلة من التلال ٠ وكانت البقعة التي تلتف حولها هذه الأسوار ليست بذات شكل منتظم يبلغ طولها زهاء ثلاثة أميال ، أما عرضها فيختلف ، ففي الشمال كان يبلغ نحواً من ميل ، ثم يضيق حتى يبلغ عند النهاية الجنوبية نحو ثلاثة أرباع الميل ٠ وكان في هذه الاسوار خمسة عشر باباً ، لكل منها اسم يعرف به ٠ ولم تكن رقعة الارض التي يكتنفها السور مشغولة كلها بالمساكن ، بل كانت هنالك حدائق تسقى من ماء نهر الخوسر ، وساحات من الأرض ٠ ويشكل التلان الكبيران : تل قوينجق ، وتل التوبة قلعتين حصينتين ، يصل السور ما بينهما ٠

وتل التوبة ، أحد تلول نينوى ، تقوم فوقه اليوم قرية نينوى ، وفي باطن هذا التل، بقايا قسم من مدينة نينوى القديمة ، يضم بعض قصورها ومعابدها٠

### ٣ — بَرْطُلي :

قرية كبيرة عامرة على بعد خمسة عشر ميلا من شرقي مدينـة الموصل ، كثيرة الخيرات والاسواق والبيع والشراء ، والغالب على أهلها النصرانية ، وبها جامع للمسلمين وأقوام من أهل العبادة والتزهد ، ولهم بُقُول وخس جيـد يضرب به المثل ، وشربهم من الآبار • والجامع كان يقع في جنوب شرقي برطلى على مسافة دقيقتين للذهاب الى كَرْمْلَيْس ، وقد خرب الجامع منذ عهـد بعيد ، وبقيت انقاضه التي تعرف عند أهل برطلى بـ : مُصَلى •

### ٤ — باعَشِيْقا :

بليدة تقوم على مسافة ستة عشر ميلا من شرقي الموصل ، لها نهر جارٍ يسقى بساتينها وتداربه عدة أرحاء ، وبها دار امارة ، ويشق النهر في وسـط البلد ، والغالب على شجر بساتينها الزيتون والنخل والنارنج ، ولها سوق كبير، وفيه حمامات وقيسارية يباع بها البز ، وبها جامع كبير حسن له منارة •

ونهرها هو عين جارية ، تنبع من جبل باعشيقا ، وأما النخل والنارنج فلا نجدهما اليوم في بساتين باعشيقا التي تكاد تكون في جملتها أشجار الزيتون•

والى جانبها قرية : باحزاني •

وتشتهر باعشيقا باستخلاص زيت الزيتون ، وبصناعة الصابون منه ، وهي تصدرها الى الموصل وغيرها •

### ٥ — كَرْمْلَيْس :

بلدة في شرقي الموصل على بعد ستة عشر ميلا منها ، شرقي دجلة ، كثيرة الغلة والأهل ، بها سوق عامرة وتجار •

### ٦ — جُهَيْنَة :

قرية كبيرة من نواحي الموصل ، على ضفة دجلة الغربية ، تقع جنوبي الموصل قرب ( القيارة ) ، وهي أول منزل لمن يريد بغداد من الموصل ، وعندها مرج يقال له : مرج جهينة •

وقد خربت جهينة ، وتعرف بقاياها بهذا الاسم أيضا ، وهي على عين طريق السيارات القاصد من الموصل الى بغداد ، وأمامها المرج الواسع الذي ينتهي بضفة دجلة •

### ٧ — الحَدِيْثة :

وتسمى : حديثة الموصل تمييزاً لها عن حديثة الفرات ، وهي بليدة على شاطىء دجلة الشرقي قرب الزاب الاعلى ، على فرسخ فوق ملتقاه بدجلة ، بينها وبين الموصل أربعة عشر فرسخا •

وكانت قديما ، عرفها الآرميون باسم : حذتا ، ومعناها الحديثة ، وسماها اليونان ( Kainai ) وهي بالمعنى ذاته ، وكانت تعرف في أيام الساسانيين باسم : نوكرد ، ومعنى ذلك بالفارسية : البلدة الحديثة ، وكانت قصبة المنطقة قبل توسع الموصل بعد فتحها ، وأعاد عمارتها مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُمية على جرف يشرف على مناقع، وهي كثيرة الصيود ، ذات بساتين وأشجار، وقد بُنيت على شبه دائرة ، ويصعد اليها من دجلة على درج ، وجامعها مبنى بالحجر قرب الشط •

ولا أثر للحديثة اليوم •

### ٨ — السِنّ :

بلدة على بعد ميل تحت ملتقى الزاب الأسفل بدجلة على ما في المسعودي،

ولكنها على ما في المقدسي فوقه ، والزاب الأسفل ( الاصــغر ) في شرقيها ، فوق تكريت ، لها سور وجامع ، وفي أهلها علماء ، وفيها بيع للنصارى ، وكان يقال لها : سِن بارِ مّا تمييزاً لها عن غيرها من المدن المعروفة بالسِن •

وجامع السِنّ بالاسواق ، بناؤه من الحجارة، ولا أثر لهذه البلدة اليوم•

٩ – البَوازِيْج :

بلد قرب تكريت ، على فم الزاب الاسفل ، حيث يصب بدجلة ، ويقال لها : بوازيج الملك ، لها ذكر في الأخبار والفتوح ، وهي من أعمال الموصل ، ولا أثر لها اليوم ، كما هو الحال في الحديثة والسِنّ ، وتعليل ذلك أن أسافل الزابين قد تبدلت كثيراً ، وكانت البوازيج تبعد عن السِنّ أربعة فراسخ شرقاً•

١٠ – بارِمّا :

من جنوب السِنّ ، كان الطريق الى سامراء وبغداد ، يساير ضفة دجلة اليسرى ماراً أولا ببارِمّا ، وهي بلدة بلحف جبل بارِما ، ويعرف أيضاً بجبل حمرين ، وهو جبل بين تكريت والموصل • وتقع بارما شرقي دجلة ، واليها نسب السِنّ ، فيقال : سِن بارما •

١١ – دَقُوقاء = داقوق = طاووق :

مدينة بين أرْبِل وبغداد ، تقع على بعد نيف ومئة ميل من شرق السِنّ ، وهي بلدة وسطة ، هواؤها أصح من هواء بغداد ، وبالقرب منها عيون نفط ، يرويها نهر داقوق ( نهر العظيم ) الذي ينبع من جبال كردستان قرب دربند خليفة ، ويفنى ماؤه أسفل مدينة داقوق في الارض الرميلة ، حيث مواضع شديدة الخطر يسوخ فيها مَنْ يحاول اجتيازها • ويصل نهر داقوق الى دجلة في موسم الفيضان ، ومجراه الاسفل هو ما يُعرف اليوم بنهر العظيم ، فينصب

في العظيم الفائض من مياه نهر داقوق وغيره ، ومازالت بقايا بعض أنهارٍ كانت تحمل هذه المياه الى العظيم وتقع فيه فوق البند ( أي سد العظيم ) بنحو كيلو مترين عند جبل حمرين • وفي الازمان القديمة حين كان النهروان حياً بأجمعه، كانت مياه نهر داقوق في فيضان الربيع تنصبّ في النهروان •

## ١٢ – إِرْبِل = أَرْبِيل :

وهي أربلا القديمة ، تقع في فضاء من الارض واسع بسيط بين الزابين الكبير والصغير ، يقصدها التجار ، وقلعتها على تل عالٍ من التراب عظيم ، ولها خندق عميق ، وسور المدينة ينقطع في نصفها ، وفيها سوق عظيمة ، وبها مسجد يسمى : مسجد الكف ، فيه حجر عليه كف انسان • وفي المئة السابعة الهجرية ( الثالثة عشرة الميلادية ) قامت في ربضها خارج السور مدينة كبيرة ، عمرت فيها أسواق وقيساريات ، وغلتها من الحنطة والشعير فاخرة •

وترقى مدينة اربل الى اقدم العهود الآشورية ، بل لعلها الموضع الآشوري الوحيد الذي ظل عامراً آهلا ومحتفظاً باسمه حتى اليوم • واسم اربل الآشوري القديم هو : ( أربا ــ ايلو ) ومعناه : أربعة آلهة •

وهي اليوم مدينة كبيرة عامرة ، تقوم أحياؤها العتيقة على التل الاثري العالي المعروف بقلعة أربيل ، وفي أرباضه امتدت أحياؤها الحديثة •

وفي سهل أربيل ، جرت المعركة التاريخية الحاسمة بين الاسكندر الكبير ودارا ملك الفرس سنة ( ٣٣١ ق•م ) ، وهي المعركة باسم : ( كوكميلا ) •

## ١٣ ــ العَمادِية :

مدينة فوق جبل ( كَوْرِك ) شمال الموصل وعلى بعد (١٦٨) كيلومتراً ، تقع بالقرب من منابع الزاب الأعلى ، وهي من أعمال الموصل ، عمَرها عمادالدين

زنكي بن آق سنقز في سنة سبع وثلاثين وخمسمائة الهجرية ، وكانت قبلها حصناً للاكراد فخربوه ، فأعاده زنكي وسماه باسمه، وكان اسم الحصن الاول : ( آشب ) .

وفي المدينة قلعة حصينة مكينة عظيمة لاتزال بقاياها موجودة حتى اليوم.

وقد جاء في الكتابات الآشورية اسم مدينة في موضع العمادية أو بالقرب منه وهي : ( أمات Amat ) ، وأقدم ذكر انتهى الينا ، في مسلة وجدت في القصر الجنوبي الغربي من مدينة ( نمرود ) الأثرية ، فيها أخبار شمسى أداد الخامس الملك الآشوري ( ٨٢٣ ــ ٨١٠ ق.م ) وهو ابن شلمنصر الثالث . وذكرها الملك أداد نيراري الثالث ( ٨٠٥ ــ ٧٨٢ ق.م ) ابن شمسى أداد الخامس في مسلة وجدت في نمرود أيضاً ، وبقيت أمات مدينة معروفة حتى العصر البابلي الحديث .

**١٤ ــ فيشابور = فيشخابور :**

قرية كبيرة على بعد نحو مئة وخمسين ميلا شمالي شرقي الموصل ، تقع جنوبي مصب الخابور بنهر دجلة ، وينبع النهر من جبال الزوزان المجاورة لجبال العمادية ، وكان على الخابور ( وهو غير خابور الفرات ) قنطرة عظيمة لاتزال بقاياها حتى اليوم عند بلدة الحسنية ( زاخو ) قرب قرية حسن آغا ، ولعل هذه القرية تمثل البلدة القديمة .

**١٥ ــ الحَسَنِيَة = زاخو :**

بلد في شرقي الموصل وعلى بعد يومين منها ، تقع بينها وبين جزيرة ابن عمر ، ويبدو أنها مدينة زاخو الحالية ، ولعل قرية ( حسنة ) القائمة بازائها في الجانب الآخر من الخابور قد حافظت على اسم الحسنية القديم .

ولاتزال القنطرة العظيمة باقية الآثار في زاخو حتى اليـــوم ، وكان في الحسنية جامع ، وهي بلد ذو شأن •

### ١٦ – مَعْلَثايا :

بليد يقع جنوبي زاخو وعلى بعد مرحلة واحدة منها ، على طريق الموصل، وفيه جامع على تلٍ ، وهي كثيرة البساتين ، وهو من نواحي الموصل •

### ١٧ – جزيرة ابن عمر :

مدينة ذات شأن ، تعرف بالجزيرة وجزيرة ابن عمر نسبة الى الحسن بن عمر بن خطاب التغلبي بانيها ، وكانت دجلة تحيط بهذه الجزيرة الا من ناحية واحدة ، شبه الهلال ، ثم عمل هناك خندق أجرى فيه الماء ، ونصب عليه رحًى، فأحاط بها الماء من جميع جوانبها بهذا الخندق • تقع في شمالي فيشخابور على بعد ثلاث مراحل من الموصل باتجاه الشمال ، بناؤها من الحجارة ، عليها سور، ولها سوق حسنة ومسجد عتيق مبني بالحجارة محكم العمل ، وسورها مبني بالحجارة أيضاً ، وكان من أعمالها مئة قرية ونيف من القرى •

### ١٨ – بازَبْدَى :

قرية تقع قبالة جزيرة ابن عمر ، في غربي دجلة ، وهي قرب باقِرْدَى من ناحية جزيرة ابن عمر ، التي في شرقي دجلـــة ، وهما كورتان متقابلتان ، وسميت الكورة باسمها ، كما سميت الكورة المقابلة باسم باقردى •

### ١٩ – نَصِيْبين :

مدينة عامرة من بلاد الجزيرة ، على جادة القوافل من الموصل الى الشام، وفيها وفي قراها أربعون ألف بستان ، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ ، وبينها

وبين الموصل ستة أيام ، عليها سور بنته الروم وأتمه أنو شروان ملك الفرس • وهي قاعدة ديار ربيعة ، تقع على نهر الهرماس ( نهر نصيبين ) ، وجبل نصيبين هو جبل الجودي الذي يقال : ان سفينة نوح استقرت عليه ، وهي مخصوصة بالورد الابيض ، وتكثر فيها العقارب القاتلة ، وهي وبئة لكثرة مياهها وبساتينها •

ونصيبين هي : ( نسبيس Nisibis ) الرومانية ، وسماها جغرافيو اليونان : ( سوكورس Saocoras ) أو ( مكدونيس Mygdonius ) ومازالت من أعظم مدن الجزيرة شأناً ، ولها جامع في وسط البلدة ، وبها حصن من حجر وكلس ، وفيها مستشفى عام ومدارس وغير ذلك من العمارات الحسنة، وغلاتها وكرومها وفواكهها فاخرة •

٢٠ – رَأْسُ العَيْن :

تقع قرب منابع خابور الفرات ، وهي : ( رأس اينا Resaina ) الرومانية ، مشهورة بكثرة عيونها البالغ عددها ستين وثلاثمائة عيناً ، وتجتمع هذه العيون فتسقى بساتينها وتجعلها كأنها بستان واحد • وعين الزاهرية فيها لا يُعرف لها قرار ، والناس يركبون الزوارق الصغار في مياهها ويذهبون الى بساتينهم والى قرقيسياء ، ويصب ماؤها في نهر الخابور •

لها سور من حجارة ، وكان داخل السور بساتين وطواحين ، وكان لاهل المدينة نحو عشرين فرسخا قرى ومزارع مما يلي دورها ، لها جامعان ومدرسة وحمام ، وبناؤها بالحجارة والجص •

٢١ – مارِدِيْن :

مدينة تقع على نحو نصف المسافة بين رأس العين ونصيبين ، في شمالها

القلعة الحصينة المنيعة العظيمة الصخرية : قلعة ماردين المشرفة على دُنيسر ودارا ونصيبين ، على قنة جبل الجزيرة ، وتشرف على الفضاء الواسع، وقدامها ربض عظيم فيه أسواق كثيرة وخانات ومدارس ورُبط، ودورهم فيها كالدرج : كل دار فوق الاخرى ، وكل درب منها يُشرف على ما تحته من الدور ، ليس دون سطوحهم مانع . وعندهم عيون قليلة ، وجلُ شربهم من صهاريج مُعدّة في دورهم ، والقلعة من أحسن القلاع وأحصنها وأحكمها ، وكان يقال لها : الباز ، وهي معقل أمراء بني حمدان ، وتقع شمالي دُنيسر بثلاثة فراسخ .

ويُصنع بماردين الثياب المنسوبة اليها من الصوف المعروف بالمرعز ، كثيرة الغلات والقطن والفواكه .

### ٢٢ ـ طُورْ عَبْدِين :

بليدة من أعمال نصيبين ، في بطن الجبل المشرف عليها ، المتصل بجبل الجودي ، وهي قصبة كورة من كور نصيبين ، وفيها مخرج نهري الهرماس والخابور .

### ٢٣ ـ دُنيْسِر :

بلدة عظيمة مشهورة من نواحي الجزيرة قرب ماردين ، بينهما فرسخان ، ولها اسم آخر هو : قوج حصار ، وهي مدينة ذات أسواق عظيمة ، وليس بها نهر جارٍ ، وانما شربهم من آبار عذبة طيبة مرية ، وأرضها حرة وهواؤها صحيح .

وهي مدينة لا سور لها ، تأوى اليها القوافل .

### ٢٤ ـ دَارَا :

بلدة في لحف الجبل ، بين نصيبين وماردين ، وكانت في أيام الروم قلعة

عظيمة ، وهي بلدة صغيرة ، تسقى من قناة تعم البلد وتجرى فوق السطوح وتقر في الجامع ثم تنحدر الى وادٍ ، وبنيانهم حجارة سود وكلس، ومن أعمالها يجلب المحلب الذي تتطيب به الأعراب ، وهي ذات بساتين ، وفي المئة الثامنة الهجرية ( الرابعة عشرة الميلادية ) أصبحت قلعتها خراباً لا عمارة بها •

## ٢٥ - كَفَرْ تُوثا :

قرية كبيرة من أعمال الجزيرة ، بينها وبين ( دارا ) خمسة فراسخ ، وهي بين ( دارا ) ورأس العين ، وتقع في جنوب غربي ماردين على نهرها الصغير ، وكانت حصناً قديماً من حصون الروم ، فسكنها الناس ومدنوها وحصنوها•

## ٢٦ - ماكِسِيْن :

مدينة بالجزيرة من أعمال ربيعة ، على خابور الفرات ، بالقرب من الرحبة، عليها جسر من السفن يقطع الخابور ، ويكثر فيها القطن •

## ٢٧ - عَرَبان :

مدينة بالجزيرة من ديار ربيعة بالقرب من ماكسين ، عليها سور منيع ، تعمل فيها الثياب القطن ، وهي كثيرة الأقطان •

## ٢٨ - سُكَيْر العبّاس :

بلفظ تصغير السكر ، وهو اسم للسداد الذي تسد به فوهة الأنهر ، ويرى اليوم على نهر الهرماس ( نهر جغجغ ) بقايا سكر على شيءٍ يسير من ملتقاه بالخابور ، كما يرى بقايا حصون رومانية على جانبي النهر •

وهي أيضاً بليدة صغيرة بالخابور ، فيها منبر وسوق •

### ٢٩ ــ سنْجَار :

تقع غربي الموصل وعلى ثلاث مراحل منها ، في جنوبي مدينة نصيبين ، وهي من أحسن المدن وجبلها من أخصب الجبال ، مشهورة بالاترنج والنارنج وبها نخل كثير ، والجامع في وسط البلدة ، ولها سور دائرته ( ٣٢٠٠٠ ) خطوة وهو من حجارة ، ويصعد الى دورها بدرجات في سفح الجبل ، وتكثر في بساتينها الكروم والزيتون والسماق ، وهي طيبة الهواء ، وهواؤها نقي .

وجاء في الكتابات المسمارية ما يدل على أنها كانت موجودة منذ العصور الآشورية ، واستولى عليها الرومان في القرن الاول للميلاد ، ودارت معارك طاحنة بينهم وبين الفرس ، ويبدو أنها ظلت على شيءٍ من الاستقلال في عهد الرومان ، فان ملوكها ضربوا النقود بأسمائهم ، وهي موجودة في المتاحف .

### ٣٠ ــ الحَضَر :

بلدة أثرية قديمة ، لاتزال آثارها باقية حتى اليوم ، وخرائب الحضر تقع غرب وادي الثرثار بمسافة أربعة كيلو مترات ، وعلى نحو سبعين كيلو متراً غرب الشرقاط ، وعلى مئة وخمسين كيلو مترا جنوب غربي الموصل . والثرثار يمر بها عند نصف المسافة بين سنجار وملتقاه بدجلة قرب تكريت ، وأبنية الحضر بالحجارة المهندمة المربعة .

وتاريخ هذه المدينة غامض غير معروف ، فما زلنا نجهل زمن بنائها ومن بناها وسبب قيامها بمفردها في البرية الواسعة التي بين نهري دجلة والفرات . ولكننا نعرف أنها وصلت الى أوج عزها في أواخر المئة الاولى للميلاد ، وثبتت أمام جيوش الرومان في المئة الثانية للميلاد ، ولكنها لم تقوَ على الوقوف بوجه هجوم سابور الاول الساساني ، فقد احتلها بعد أن حاصرها وأعمل السيف في أهلها ، ونهب قصورها ومعابدها ، في نحو منتصف المئة الثالثة للميلاد .

ويظهر أن الحضر لم تعش بعد ذلك ، وهجرها مَن بقي من أهلها على قيد الحياة •

**٣١ ـ أَسْكِي مُوصِل = بَلَد :**

بليدة صغيرة ، على اربعة فراسخ من الموصل ، فيها مشهد من مشاهد آل البيت ، وأصبحت في المئة الرابعة الهجرية ( العاشرة الميلادية ) مدينة كبيرة ، فيها قصور حسنة ، وبنيانها من الحجر والجص ، ولها أسواق ، وجامعها وسط البلدة •

وهي اليوم قرية على نحو أربعين كيلو متراً شمال غربي الموصل في ضفة دجلة اليمنى ، وتقوم عند الخرائب المعروفة حالياً بهذا الاسم : أسكي موصل، وهي بقايا مدينة ( بَلَط ) الآشورية التي ورد اسمها في كتابات سنحاريب الملك الآشوري (٧٠٥ ـ ٦٨١ ق•م) • وقامت هناك مدينة في العصر الاسلامي، سماها البلدانيون العرب : بلد وبلط ، وقد عثر في بعض أطلالها على مسكوكات أتابكية احداها تعود الى قطب الدين مودود ، مما يدل على أن هذا القسم من الأطلال والسور الذي حولها فوق التل القديم من المنشآت الأتابكية •

وعلى مقربة من أسكي موصل ، قنطرة ذات طاق واحد تعرف بهذا الاسم الاسم أيضاً ، ارتفاعها اثنا عشر متراً في الوقت الحاضر ، وعرضها اثنان وعشرون مترا ونصف المتر ، مبنية بالحجارة الكبيرة المهندمة ، على بعضها حروف يحتمل أنها يونانية ، وفي وجه الطاق كتابة عربية منقورة في الحجر ، ويرجح أنها كتبت بعد انشاء القنطرة التي يبدو من طرازها أنها رومانية ، فجددت بعد ذلك •

### ٣٢ ـ تَلّ أعْفَر :

اسم قلعة وربض بين سنجار والموصل ، في غربي الموصل ، على طريق الموصل ــ سنجار ، وكان اسمها عند الآشوريين : ( نمت عشتار ) •

وهي في وسط وادٍ فيه مـاء جارٍ ، والقلعة على جبـل منفرد حصينة محكمة ، وبها نخل كثير يصدر رطبه الى الموصل •

بين سنجار وتل أعفر خمسة فراسخ ، وبين تل أعفر وبين بلد ستة فراسخ، وأصل اسمها : التل الاعفر ، للونه الاعفر ، وغلالها جيدة •

### ٣٣ ـ المَحْلَبِيّة :

بليدة بين الموصل وسنجار ، قصبة كورة الفرج من تل أعفر • وهي اليوم من قرى لواء الموصل ، قرية كبيرة كالبلدة . فيها عين وافرة المـاء تعرف بـ : سرب المحلبية ، تعيش فيها أسماك ، وتسقى مياهها بساتين القرية التي تكثر فيها الأشجار المثمرة كالرمان والتين والعنب والخوخ وغيرها •

وفي أطرافها بقايا بلدة اسلامية وتل عالٍ يعرف بتل باليوز ، على سطحه كسر فخار من أدوار ما قبل التاريخ والدور الآشوري •

والمحلبية نسبة الى : المَحْلَب(٤) ، وهو نوع من العطر ، يعمل فيها •

### ٣٤ ـ بَاعَيْنَاثَا :

أ ــ مدينة نزهة طيبة ، وهي خمس وعشرون محلة ، يتخللها البساتين والمياه ، ليس مثلها بالعراق مع رفق ورخص •

---

(٤) المحلب : شجر له حب يجعل في الطيب .

تقع على الطريق الايمن من الموصــل ــ أسكي موصــل ــ باعيناثا ــ نصيبين • ولا أثر لها في الوقت الحاضر •

ب ــ قرية كبيرة كالمدينة ، فوق جزيرة ابن عمر ، لها نهر كبير يَصُبُّ في دجلة ، وفيها بساتين كثيرة ، وهي من أنزه المواضع ، تُشَبَّه بدمشق •

### ٣٥ ــ بَرْقَعِيْد :

بلدة كبيرة من أعمال الموصل ، من كورة البقعاء ، وبها آبار كثيرة ، وهي واسعة وعليها سور ، ولها ثلاثة أبواب : باب بلــد ، وباب الجزيرة ، وبــاب نصيبين ، وفيها كثير من حوانيت البيع والشراء •

وقد كانت هذه صفتها قرابة سنة ثلاثمائة الهجرية ، أما في القرن السادس الهجري ( الثاني عشر الميلادي ) فقد أصبحت خراباً صغيرة حقيرة ، وأهلهــا يضرب بهم المثل في اللصوصية ، يقال : لص" برقعيدي • وكانت القوافل اذا نزلت بها لقيت من أهلها الامرين ، حتى تجنبتها أكثر القوافل ، لكثرة أفاعيل أهلها ، فأصبحت قرية صغيرة ، وهكذا جنى عليها أهلها بسوء أعمالهم •

### ٣٦ ــ أَذْرَمَة :

مدينة تقع في نحو نصف المسافة بين برقعيد ونصيبين ، بينها وبين برقعيد خمسة فراسخ ، وفيها نهر يشقها وينفذ الى آخرها والى صحرائها من عين على رأس فرسخين منها ، وعليه في وسط المدينة قنطرة معقودة بالصخر والجص وعلى النهر رحى ماء ، وعليها سوران واحد دون الآخر ، وفيها خرابات وسوق قدر مائتي حانوت ، ولها باب حديد ، ومن خارج السور خندق يحيط بالمدينة، بينها وبين سنجار عشرة فراسخ • ، وهي من أعمال الموصل ، من كورة تُعرف بـ : بين النهرين ، بين كورة البقعاء ونصيبين ، ولم تزل هذه الــكورة ، وهي

اليوم من أعمال نصيبين ، وكانت تلك صفتها في المئة الثالثة الهجرية (التاسعة الميلادية) •

أما في المئة الرابعة الهجرية ( العاشرة الميلادية ) ، فقد أصبحت قرية ليس فيها مما يوصف شيء واليها يُنسب ، شرب أهلها من آبار ، وبنيانهم قباب ، وهكذا تبدل حالها فكانت مدينة فأصبحت بعد مئة سنة قرية ، وهي من ديار ربيعة •

### ثانياً ـ ديار مُضَر

### ٣٧ ـ الرّقّة والرافِقة :

الرقة مدينة مشهورة على الفرات ، بينها وبين حران ثلاثة أيام ، معدودة في بلاد الجزيرة لأنها من جانب الفرات الشرقي ، واسمها : البيضاء ، وهي قاعدة ديار مضر من الجزيرة ، تقع فوق مصب نهر البليخ المنحدر من الشمال الى الفرات •

وقد قامت في موضع المدينة اليونانية القديمة : (كلنيكس Callincus) وهي : ( نقفوريوم Nicephorium ) ، وما اسم : الرقة العربي ، الا نعت لها ، فالرقة كل أرض الى جنب وادٍ ينبسط عليها الماء وقت الفيضان ، ومن ثمة فالرقة توجد في مواضع أخرى ، وهذه الرقة التي على الفرات ، عرفت بالرقة البيضاء تمييزاً لها عن غيرها •

وحين انتقلت الخلافة الى بني العباس في المئة الثانية الهجرية ( الثامنة الميلادية ) ، كانت الرقة من أهم مدن ما بين النهرين الأعلى ، وتسيطر على تخوم الشام ، فكان على العباسيين الاحتفاظ بها • وشرع المنصور في سنة خمس وخمسين ومئة الهجرية ( ٧٢٢م ) ، ببناء مدينة الرافقة على نحو ثلاثمائة ذراع

من الرقة ، ورتب بها جنداً من أهل خراسان الموالين للدولة الجديدة ، وقد بنيت الرافقة على غرار مدينة السلام : بغداد ، فكانت مدينة مدورة •

ثم ان الرشيد بنى قصورها وبنى له فيها قصراً سماه : قصر السلام ، لانه كان يقيم في الرقة أو الرافقة اذا اشتد الحر في بغداد •

وسرعان ما خربت الرقة القديمة ، وشيدت أبنية جديدة على الارض الفضاء بين الرقة والرافقة ، وقد كانت الاخيرة ربضاً لها التي بطل اسمها بمرور الزمن ، وكانتا مدينتين متلاصقتين ، في كل واحدة منهما مسجد جامع ، وكانتا كثيرتي الاشجار •

وللرقة حصن عريض ، ولها بابان ، حسنة الاسواق ، كثيرة القرى والبساتين والخيرات ، وفيها الصابون الجيد والزيتون ، وهو الصابون الرقي المشهور ، وجامع الرقة في سوق البزازين ، وبها حمامات طيبة •

والرافقة هي ربض الرقة ، وكان لكل بيت كبير في الرقة دكة ، وبالقرب منها خرائب مدينة قديمة يقال لها : الرقة المحترقة •

وعلى الرافقة سوران بينهما فصيل ، ولها ربض بينها وبين الرقة ، وبه أسواقها •

وقد خربت الرقة وغلب اسمها على الرافقة ، وصار اسم المدينتين : الرقة•

٣٨ — صِفِّين :

موضع بالقرب من الرقة ، على شاطىء الفرات من الجانب الغربي ، بين الرقة وبالس ، وعلى أرضها جرت المعركة المشهورة بين علي بن ابي طالب رضي الله عنه ومعاوية بن أبي سفيان في سنة سبع وثلاثين الهجرية في شهر صفر •

### ٣٩ ــ قَلْعَة جَعْبَر :

تقع بين الرقة وبالس على الفرات مقابل صفين على صخرة لا ترام ، وكانت تسمى : الدوسرية نسبة الى دوسر وهو عبد للنعمان بن المنذر ، فانه بناها لما جعل النعمان دوسرَ المذكور على أفواه الشام • ثم ملكها سابق الدين جعبر القشيري ، فطالت مدته فيها حتى عمي من الكبر ، فنسبت القلعة اليه ، فقيل لها : قلعة جعبر ، وهي اليوم خراب ليس بها ديار •

وفي سنة سبع وتسعين وأربعمائة الهجرية ( ١١٠٤م ) ، استولى الفرنج عليها في الحملة الصليبية الاولى •

### ٤٠ ــ حَرّان :

تقع حران عند ملتقى الطرق التجارية في شرق الفرات ولاسيما طريق الشام وطريق الجزيرة ، قرب منبع نهر البليخ ، وهي مدينة الصابئين الحرانية، وينبغي الا يخلط بينهم وبين صابئة العراق اليوم ، فصابئة حران على دين ابراهيم عليه السلام • وهي مدينة نزهة عليها حصن من حجارة حسن البناء ، وسورها مبني بالحجارة ومحيطه (١٣٥٠) خطوة ، ولها أسواق مسقفة ومدرسة ومستشفى عام ، وفيها جامع ، وما حولها من الارض تسقيها أنهار لا عدَّ لها •

وكانت حران ( كرها Carrhae ) منذ الالف الثاني قبل الميلاد قاعدة اقليم كبير ، وظلت عامرة حتى المئة السابعة الهجرية ( الثالثة عشرة الميلادية ) ، حكمها الآشوريون واليونان والرومان والفرس قبل أن يفتحها المسلمون سنة ثمان عشرة الهجرية (٦٣٩م) ، ونزلها مروان الثاني آمر خلفاء بني أمية ، وتبلغ مساحة أطلالها نحو ميل مربع ، يحيط بها سور خرب •

بينها وبين الرها يوم ، وبينها وبين الرقة يومان ، وهي على طريق الموصل والشام والروم ، وهي اليوم خراب •

٤١ ـ الرُّها :

هي : أذاسا ، وسماها العرب : الرُّها ، وهو تحريف للاسم اليوناني : ( كلرهو Callirhoe ) ، مدينة تقع على احد روافد نهر البليخ ، وأكثر ما اشتهرت به كنائسها الكثيرة ، وبها جامع ، وكانت مدينة محصنة .

وفي سنة اثنتين وتسعين وأربعمائة الهجرية ( ١٠٩٨ م ) استولى عليها بلدوين وبقيت نصفٍ قرن ولاية لاتينية ، ولكن في سنة أربعين وخمسمائة الهجرية ( ١١٤٥م ) استعادها عمادالدين زنكي الذي حكم سنتي (٥٢١ هـ ـ ٥٤١ هـ ) من جوسلين الثاني .

وظلت بهذا الاسم حتى مطلع المئة التاسعة الهجرية ( الخامسة عشرة الميلادية ) ، اذ اطلق عليها اسم : ( أورفا ) بعد انتقالها الى حكم العثمانيين ، ومازالت تسمى بهذا الاسم حتى اليوم .

٤٢ ـ باجَدَّا :

قرية كبيرة بين رأس العين والرقة ، عليها سور ، وكان مسلمة بن عبدالملك قد أقطع موضعها رجلا من أصحابه ، فبناها وسورها ، وفيها بساتين تسقيها عين تنبع من وسطها ، يشرب منها الناس وما فضل يسقى زروعها ، وهي قرب حصن مسلمة بن عبدالملك على مقربة من شرق نهر البليخ على الطريق الى رأس العين ، وهي على تسعة فراسخ من جنوب حران وعلى نحو ميل ونصف الميل من ضفة النهر الحقيقية .

٤٣ ـ حصن مَسْلَمَة :

حصن مسلمة بن عبدالملك بن مروان ، أحد قادة الفتح الاسلامي ، ومن أكبر قادة بني أمية ، وهو بالجزيرة بين رأس العين والرقة ، بناه مسلمة على

قدر جريب من الارض ( ما يعادل ثلث ايكر ) ، وارتفاعه في الهواء أكثر من خمسين ذراعا ، بينه وبين نهر البليخ ميل ونصف الميل ، وشرب أهله من مصنع فيه طوله مائتا ذراع في عرض مثله وعمقه نحو عشرين ذراعاً ، معقود بالحجارة . وكان مسلمة قد أصلحه ، والماء يجرى فيه من نهر البليخ في نهر منفرد في كل سنة مرة حتى يملأه ، فيكفي أهله بقية عامهم ، ويسقى هذا النهر بساتين حصن مسلمة ، وفوهته من البليخ على خمسة أميال ، وبين حصن مسلمة وحران تسعة فراسخ ، وهو على طريق القاصد للرقة من حران .

٤٤ ـ باجرْوَان :

قرية من ديار مُضر بالجزيرة ، وكانت من أعمال نهر البَليخ ، منزلا خصبا نزها واسعا ، في جنوب حصن مسلمة في طريق الرقة على ثلاثة فراسخ منها .

وفي المئة الرابعة الهجرية ( العاشرة الميلادية ) اضمحلّ أمرها .

٤٥ ـ قَرْقِيْسِيَاء :

مدينة على ضفة الفرات اليسرى ، حيث يصب خابور الفرات فضلة مياهه في الفرات ، على نحو مائتي ميل أسفل من الرقة ، وهي : ( كركيسيوم Circesium ) القديمة ، تبعد ستة فراسخ عن الرحبة ( رحبة مالك بن طَوق ) وأصغر من الرحبة ، لها أشجار وبساتين كثيرة ، وهي في نفسها نزهة .

٤٦ ـ الرّحْبَة :

رحبة مالك بن طَوق بن عَتّاب التغلبي ، تمييزا لها عن سائر الرحبات الاخرى ، وهي مدينة بينها وبين دمشق ثمانية أيام ، ومن حلب خمسة أيام ، والى بغداد مئة فرسخ ، والى الرقة نيّف وعشرون فرسخا ، ولم يكن لها أثر

قديم ، انما أحدثها مالك بن طوق أحد قادة الرشيد ، وكان احداثها في خلافة المأمون ، وهي بين الرقّة وعانة .

وقد خربت الرحبة وبقيت قرية ، وبها آثار المدينة القديمة من المآذن الشاهقة وغيرها ، واستحدث شيركوه بن أحمد بن شيركوه بن شادي صاحب حِمص في جنوبيها ناقلا عن الفرات الرحبة الجديدة على نحو فرسخ من الفرات ، وهي بلدة صغيرة لها قلعة على تل تراب ، وشرب أهلها من قناة من نهر سعيد الخارج من الفرات ، وهي اليوم محط القوافل من العراق والشام ، بين الرحبة الجديدة وقرقيسياء ثلاثة فراسخ .

والرحاب عامة تكون في الاودية ، الواحدة : رحبة ، وهي مواضع متواطئة ليتستنقع الماء فيها ، وما حولها مشرف عليها ، وهي أسرع الأرض نباتا ، وتكون عند منتهى الوادي أو في وسطه ، وتكون في المكان المشرف ليستنقع الماء فيها . واذا كانت في الارض المستوية نزلها الناس ، واذا كانت في بطن المسيل لم ينزلها الناس ، واذا كانت في بطن الوادي فهي أفنة أي حُفرة تمسك الماء ليست بالقعيرة جدا ، وسعتها قدر غلوة ، والناس ينزلون في ناحية منها . ولا تكون الرحاب في الرمل ، وتكون في بطون الارض وظواهرها .

وكان الرشيد قد أقطع مالك بن طَوق أرض الرحبة ، فعمرها مالك وتحول الناس اليها ، فأنفذ له الرشيد رجلا يطلب منه مالا ، فتعلل عليه بعلة ودافعه عن حمل المال ، ثم ثنى الرسول اليه وكذلك راسله ثالثة ، وبلغ الرشيد عنه أنه قد عصى عليه وتحصن ، فأنفذ اليه الجيوش ، الى أن طالت بينهما المحاربة والوقائع . وأخيرا ظفر به صاحب الرشيد ، فحمله مكبلا بالحديد الى بغداد ، فمكث في حبس الرشيد عشرة أيام لم يُسمع منه كلمة واحدة ، وكان اذا أراد شيئاً أومأ برأسه ويده . فلما مضت عشرة أيام ، جلس الرشيد للناس

وأمر باخراجه ، فأخرج من الحبس الى مجلس أمير المؤمنين ، والوزراء والحجّاب والأمراء بين يدي الرشيد ، فلما مثل بين يديه بقى قائما لا يتكلم ولا يقول شيئا ساعة تامة . ودعا الرشيد النطع والسيف وأمر بضرب عنقه ، فقال له يحيى البرمكي : « ويلك يا مالك ! لم لا تتكلم !! » . والتفت مالك الى الرشيد وقال : « السلام عليك يا أمير المؤمنين جبر الله بك صدع الدين ، ولم بك شعث المسلمين ، وأخمد بك شهاب الباطل ، وأوضح بك سبل الحق ! ان الذنوب تخرس الألسنة ، وتصدع الأفئدة ، وايم الحق ! لقد عظمت الجريرة فانقطعت الحجة ، فلم يبق الا عفوك أو انتقامك ، ثم أنشأ يقول :

أرى الموت بين السيف والنطع كامناً
يلاحظني من حيث ما أتلفت
وأكثر ظني أنك اليوم قاتلي
وأي أمرىء مما قضى الله يُفلِتُ
وأي أمرىء يُدلي بعذرٍ وحُجَّة
وسيف المنايا بين عينيه مُصلَتُ
يَعزُ على الأوس بن تَغلب موقف
يُهَزُ عليّ السيفُ فيه وأسكتُ
وما بي خوفٌ أن أموتَ وانني
لأعلمُ أن الموتَ شيءٌ موَقَتُ
ولكنّ خلفي صبيةً قد تركتُهم
وأكبادهم من خشيةٍ تتفتَّتُ
كأني أراهم حين أُنعى اليهمُ
وقد خَمَّشوا تلك الوجوه وصوّتوا

فان عِشتُ عاشوا خافضين بغبطةٍ
أذود الرَّدى عنهم ، وان متُّ مَوَّتوا
وكم قائلٍ : لايبعدُ اللهُ داره
وآخرُ جذلان يُسرُّ ويَشمتُ »

وبكى الرشيد حين سمع هذا الشعر المؤثر البليغ ، ثم قال : « لقد سكتَّ على همة ، وتكلمت على علم وحكمة ، وقد وهبناك للصبية ، فارجع الى مالك، ولا تعاود فعالك » .

وقد حرصت على تسجيل هذه الطرفة العاطفية ، ليستمتع بها القارىء كما استمتعت ، اذ لا علاقة لها بالوصف الجغرافي للرحبة ، وعلى كل فعناء القارىء بتلاوتها ، أقل من عناء كاتبها ، وما أردت الا امتاع القارىء بهذه النادرة ، دون أن أفرض عليه تصديقها أو تكذيبها ، فالأمر عندي سيان .

وكان للرحبة حصن منيع وربض كبير ، ودورها من نحو البادية طيلسان.

٤٧ — الدَّالِيَة :

مدينة بشط الفرات في غربيه ، بين عانة والرحبة ، تعرف بدالية مالك بن طوق تمييزا لها عن غيرها ، من ديار مُضر ، وهي بلد صغير ، والرحبة والدالية قرب نهر سعيد الذي كان يخرج من يمين الفرات على شيء قليل فوق قرقيسياء ، ويعود فيصب فيه فوق الدالية . وكان قد أمر بحفر هذا النهر الأمير سعيد بن عبدالملك بن مروان ، وكان رجلا تقيا يلقب بـ : سعيد الخير ، وقد تولى الموصل حينا من الزمن .

وكانت الدالية أصغر من الرحبة ، حسنة ، فوق شرف من الأرض ، على شاطىء الفرات في غربيه كما ذكرنا .

### ٤٨ — الرصافة :

مدينة في البادية ، بين الرحبة والرقة ، على أربعة فراسخ من الرقة وفي غربيها ، على طرف البرية ، تعرف : رصافة الشام أو رصافة هشام نسبة الى بانيها هشام بن عبدالملك بن مروان ، بناها لما وقع الطاعون بالشام ، وكان يسكنها بالصيف •

وفي أخبار ملوك غسّان : «ثم ملك النعمان بن الحارث بن الأيهم ، وهو الذي أصلح صهاريج الرصافة وصنع صهريجها الأعظم » ، وهذا يدل على أنها كانت قبل الاسلام بدهر ليس بالقصير ، ولعل هشاما عمر سورها أو بنى بها أبنية يسكنها • وعليها سور ، وليس عندها نهر ولا عين جارية ، انما شربهم من صهاريج عندهم داخل السور ، وربما فرغت في أثناء الصيف ، فلأهل الثروة من يمضي الى الفرات عصرا ، فيجيء بالماء في غداة غدٍ ، لأنه يمضي ثلاثة فراسخ أو أربعة ويرجع مثلها • وعندهم آبار طول رشاء كل بئر مئة وعشرون ذراعا وأكثر ، وهو مع ذلك ملح رديء ، ولهم سويق عدة دكاكينه عشرة دكاكين ، ولأهلها حذق في عمل الأكسية ، وكل رجل فيها غنيهم وفقيرهم يغزل الصوف ونساؤهم ينسجن ، وفيها دير عجيب •

وتقوم أطلال رصافة الشام ، على نحو مئتي كيلومتر من شرق مدينة حلب ، وقد ورد ذكرها في النصوص الآشورية ، وفي سفر الملوك الرابع ( ١٩ : ١١ — ١٢ ) ، ولم يبق من هذه المدينة غير أطلال في صحراء جرداء مقفرة •

### ٤٩ — الخانوقة :

مدينة في شرقي الفرات بين الرقة وقرقيسياء ، على يومين فوق قرقيسياء، قرب الرقة ، وهي رزحة الحال ، لا أهمية لها •

٥٠ ــ عانَةُ :

بلدة مشهورة بين الرقة وهيت ، تعد من أعمال الجزيرة ، وهي مشرفة على الفرات قرب حديثة النورة ( الحديثة ) ، وبها قلعة حصينة ، وتقع على ضفة الفرات الغربية على بعد (٢١٢) كيلومترا شمال مدينة الرمادي •

وهي : ( أناتو Anatho ) القديمة ، وقد ورد اسمها في الكتابات المسمارية : (أناث) وفي المراجع الاغريقية بصورة : (أناثا) ، وفي الكتابات التدمرية : (عانة) ، وسماها الآراميون : (عانات) •

وكانت عانة المعسكر السابع والعشرين في الطريق الذي أنشأه الملك الآشوري توكلتي نينورتا الثاني (٨٨٩ ــ ٨٨٤ ق•م) ، فقد كان معسكره قبالة جزيرة (عانات) في أرض سوخي وهي عانة الوقت الحاضر ، وكانت عانة في الأصل تقوم على الجزر الخصبة ، ولم تكن في الأزمنة السابقة على ما هي عليه اليوم من امتداد على الساحل الأيمن للفرات ، ولم يكن أهلها في مأمن من غزوات البدو فقط ، بل ان مركزها ساعدهم على اخضاع الجهات المجاورة ، لهذا كان الآشوريون عادة يولون سادة عانة حكاما على مقاطعة سوخي ، وكان الملك توكلتي نينورتا الثاني قد تسلم الجزية من ( ايلو ابني ) رئيس سوخي الذي كان في بلدة أنات في وسط الفرات •

ولا زالت عانة بلدة عامرة على الفرات حتى اليوم ، وهي مركز قضاء تابع لمحافظة الأنبار •

٥١ ــ بالس :

مدينة في غربي الرقة عند حد أرض صفين ، حيث يتجه الفرات شرقا بعد جريانه الى الجنوب • وهي مدينة ( بربالسس Barbalissus ) عند الرومان ، وكانت فرضة عظيمة لأهل الشام على الفرات ، ومن ثم مركزا

لكثير من طرق القوافل •

وقد وصف ابن حوقل مدينة بالس فقال : « عليها سور أزلي ، ولهـا بساتين فيما بينها وبين الفرات ، وأكثر غلاتها القمح والشعير» • وهي وان كان الخراب قد امتد اليها ، فقد قال المقدسي في المئة الرابعة الهجرية ( العـاشرة الميلادية : « انها مازالت عامرة » •

على أن ياقوت الحموي ذكر أن الفرات في المئة السابعة الهجرية ( الثالثة عشرة الميلادية ) : «لم يزل يشرق عنها قليلا قليلا ، حتى صارت بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال » ، ولمح أبو الفدا الى بالس فقال : « بلدة كانت مسكونة »•

**٥٢ جسر – مَنْبِج :**

على الفرات ، ومنه يصعـد طريـق يغرب الى منبـج : ( هـيرابوليس Hierapolis ) من أعمال حلب ، وكانت مدينة ذات شأن في القرون الوسطى •

وعند الجسر قلعة حصينة ، تحتها ربض عامر ، مطلة على الفرات ، ويقال لهذه القلعة : قلعة النجم ، لأنها على جبل ، وكانت تسمى أيضا : حصن منبج• ولما مر ابن جبير بقلعة النجم وهو آت من حرّان في سنة ثمانين وخمسمائـة الهجرية (١١٨٤ م) قال في وصفها : «حولها ديار بادية ، وفيها سويقة» •

والقلعة من بناء السلطان نورالدين محمود بن زنكي ، وكانت مسلحـة تشدد النكير على ما في يد الصليبيين من مدن في أيام الحروب الصليبية •

**٥٣ – سُمَيْسَاط :**

مدينة على شاطىء الفرات الغربي (الضفة اليمنى) ، وعند هذه المدينـة ينحرف النهر الى الغرب ، وكانت قلعة مكينة حصينة ، يسكن الأرمن قسما منها• وهذه المدينة قديمة ، وهي المدينة الرومية ( سموساطا Samosata ) .

٥٤ – سَرُوج :

بلدة قريبة من حرّان من ديار مُضر من بلاد الجزيرة ، بينها وبين حران مسيرة يوم ، كثيرة المياه والبساتين ، بها الرمان المفضل والكمثرى والخوخ والسفرجل ، وهي أيضا على مسافة يوم من البيرة في جهة الشرق والشمال عنها .

وكانت سروج على طريق القوافل من حرّان والرها الى جسر منبج ، وهي اليوم خراب .

**ثالثاً : ديار بكر**

٥٥ – آمِد :

مدينة قديمة حصينة من ديار بكر ، تقع على غربي دجلة أي يمينه ، يطل عليها جبل علوه خمسون قامة ، عليها سور أسود من حجارة الأرحية الصلبة يحيط بالتل المشرف عليه ، وعلو السور عشرون ذراعا وثخنه عشرة أذرع ، وأكثر حجارته ملتصق بعضه ببعض من غير طين أو جص ، وكل حجر منه يزن ما يعادل ثلاثة أطنان . وعلى بعد كل مئة ذراع من السور بني برج نصف دائري ، تنتهي قمته بشرفات من الحجارة السود ، وقد شيد في عدة أماكن من السور مراق من الحجر يصعد بها الى أعلى السور ، وكانت في السور أربعة أبواب حديد تقابل الجهات الأربع الأصلية : يسمى الباب الشرقي باب دجلة ، والشمالي باب الأرمن ، والغربي باب الروم ، والجنوبي باب التل .

وخارج هذا السور ، سور آخر من الحجر نفسه ، علوه عشرة أذرع ، وفي الفصيل بينهما ربض كالحلقة عرضه خمس عشرة ذراعا ، وكان من فوق هذا السور شرفات ومرقاة للدفاع ، وكان له أيضا أربعة أبواب حديد تناظر أبواب السور الداخل ، فلا أحصن من آمد ولا أجل منها .

والجامع في وسط المدينة ، وفيها عيون كثيرة ، وفي وسط المدينة عين

يتفجر ماؤها من الحجر الأصم ، وهذا الماء من الغزارة مايكفي لادارة خمس أرحاء ، وهو غاية في العذوبة ، وتسقى البساتين المجاورة من هذا الماء •

ومسجدها الجامع جميل البناء ، وهو من الحجر الأسود كسائر المدينة ، وقد أقيم في وسطه أكثر من مئتي سارية من الحجر ، كل سارية قطعة واحدة ، ويعلو هذه السواري عقود من الحجر نصبت فوقها سوار أقصر من تلك ، وجميع سقوف المسجد من الخشب المحفور والمنقوش والمدهون • وفي صحن الجامع حوض مستدير من الحجر ، في وسطه أنبوب من النحاس ، ينفر منه ماء صاف ، فيبقى الماء في الحوض على مستوى واحد في كل الأوقات • وبالقرب من الجامع كنيسة عظيمة ، مبنية كلها من الحجر ، وقد فرشت أرضها بالرخام ، وجدرانها غنية بالزخارف •

أسواقها حسنة عامرة ، كثيرة الأشجار والبساتين •

٥٦ — حانِي :

اسم مدينة معروفة بديار بكر ، فيها معدن الحديد ، ومنها يجلب الى سائر البلاد ، تقع شمال آمد على مقربة من أحد السواعد الشرقية في أعالي دجلة •

٥٧ — مَيّافارقين

مدينة بدياربكر ، وهي قاعدة دياربكر ، مثل نصيبين في احداق المياه والبساتين بها ، وبها قبر سيف الدولة بن حمدان •

والظاهر أن ميافارقين العربية تحريف لاسم : ( ميفركت Maypharkath ) الآرامي ، أو : ( موفركن Movfargin ) الأرمني ، وسماها اليونان : ( مرتيروبولس Martyropolis ) •

وهي مدينة طيبة حصينة ، عليها سور عظيم من الحجر الأبيض الذي يزن الحجر منه نحو طن ونصف الطن • وبينما كانت آمد مبنية بالحجر الأسود ، كانت مباني هذه المدينة كلها من الحجر الأبيض ، وفي أعلى السور شرفات ، وعلى بعد كل خمسين ذراعا منه برج عظيم من الحجر الابيض نفسه • ولهذه المدينة باب من ناحية الغرب ، ركب فيه باب من حديد لاخشب فيه ، وكان في المدينة مسجد جامع حسن البناء ، ومسجد ثان في الربض ظاهر المدينة يقوم في وسط الأسواق ، ويليه بساتين كثيرة •

وفي ناحية الشمال ، على شيء يسير من ميافارقين مدينة أخرى تسمى : ( المُحدَثة ) ، بها مسجدها الجامع وحماماتها وأسواقها ، وعلى أربعة فراسخ من ميافارقين مدينة : ( النّصرِيَّة ) بناها سعدالدين نصرْ الدولة أبو نصر أحمد•

٥٨ ـ أَرْزَن :

مدينة مشهورة على شيء يسير من ميافارقين ، على الضفة الغربية لنهر أو واد يقال له : سربط ، أحد روافد دجلة ، مأخذه من ظهر أبيات أرزن •

ولأرزن حصن منيع عظيم ، وهي عامرة فيها أسواق حسنة ، وتحفّ بها بساتين يانعة كثيرة الماء •

وينبغي ألا يخلط بين أرزن هذه ، وبين أرزن الروم أو أرضروم التي ذكرناها في موضعها في بلاد الروم وفي مدن الفرات الاعلى من هذا البحث •

٥٩ ـ حِصْن كَيفْا :

بلدة وقلعة عظيمة مشرفة على دجلة بين آمد وجزيرة ابن عمر ، من دياربكر ، وهي ذات جانبين ، وعلى دجلتها قنطرة عظيمة ، وهي طاق واحد ، يكتنفه طاقان صغيران •

سماها الروم : ( كيفس Kiphas ) أو ( كيفي Cephe ) •

وللمدينة ربض عامر ، فيه الأسواق والفنادق والمساكن الحسنة ، وبناؤهم بالحجر والجص ، ولها ضياع حسنة وأسواق ، ولها مزارع وضياع كثيرة •

**٦٠ – فَافَان :**

مدينة على ضفة دجلة الشمالية أي اليسرى ، على نحو خمسين ميلا شرق حصن كيفا ، حيث ينعطف النهر انعطافا عظيما نحو الجنوب • وحول المدينة بساتين ، وأسواقها عامرة ، وبناؤها من طين •

وباسم المدينة سمي : تل فافان ، يلتقي بدجلة عنده النهر الذي ينحدر من بدليس وينبع من جبال ارمينية جنوب غربي بحيرة ( وان ) • ويقترن بهذا النهر رافد عظيم ينبع من جنوب بحيرة (وان) اسمه : نهر الرَّزْم ، ويصير دجلة أسفل اقترانهما في مجرى واحد صالحا لسير السفن •

**٦١ – سِعِرْت – إسْعِرْد – إسْعِرْت :**

مدينة على نهر الرزم شمال تل فافان وفوق مصب نهر بدليس فيه ، وهي على جبيل بالقرب من نهر دجلة في شماليه الشرقي ، تبعد من ميافارقين مسيرة يوم ونصف اليوم ، وميافارقين في شمال سعرت ، وسعرت جنوبها ، وتبعد عن آمد أربعة أيام وسعرت في الجنوب من آمد ، ويحيط بسعرت الجبال ، ولها الاشجار الكثيرة من التين والرمان والكروم بدون سقي بل تعيش ديمية على المطر •

وهي مدينة عظيمة مشهورة بآنيتها النحاس الفاخر التي يصنعها الصفارون المهرة هناك ، وبأقداح الشرب التي تستورد منها ، وتعد من ديار بكر •

٦٢ – حِيزَان :

بلد قرب اسعرت من ديار بكر ، يكثر فيه الشجر والبساتين والمياه الغزيرة ، فيها الشاه بلوط والبندق ، وليس الشاه بلوط في شيءٍ من بلاد العراق والجزيرة والشام الا فيها •

٦٣ – الهَتّاخ :

قلعة حصينة قرب مَيافارقين من ديار بكر •

## مُدُن الفرات الاعلى

٦٤ – مَنَازْجِرْد :

بلد مشهور بين خلاط وبلاد الروم ، يعد في ارمينية ، على نهر أرسناس ( مراد صو ) ، وتعرف أيضاً : مَلاَزْكِرْد ، ومَنَزْكِرْت ، ومَلاَسْكِرد ، ومَلَسْجِرْد ، وكانت في المئة الرابعة الهجرية ( العاشرة الميلادية ) حصينة ، الجامع على حافة السوق ، كثيرة البساتين •

وفي هذا البلد وقعت سنة ثلاث وستين وأربعمائة الهجرية ( ١٠٧١م ) معركة حاسمة بين الروم والمسلمين ، أسر فيها السلاجقة الملك رومانس الرابع ( ديوجينس ) ، وأدت هذه المعركة الى فتح آسية الصغرى وقرار السلاجقة فيها •

هواؤها طيب ، وأرضها خصبة •

٦٥ – مُوْش :

مدينة تقع في جنوب نهر أرسناس ( مرادصو ) في السهل العظيم غرب

بحيرة ( وان ) ، من ناحية خلاط بارمينية •

فيها مراعٍ غنية ، تسقيها أنهار تجرى شمال الفرات الشـرقي وجنوب دجلة ، وهي اليـوم خراب •

### ٦٦ – شِمْشَاط :

مدينة ذات شأن ، لا وجود لها اليوم ، تقع على نهر أرسناس ( مرادصو) ويسمى نهر شمشاط أيضاً ، في الضفة الجنوبية من النهر أي اليسرى ، وكان اسمها : ( ارسموساطا Arsamosata ) عند الروم ، وهي غير سميساط •

### ٦٧ – حِصْن زِياد :

حصن" بأرض ارمينية ، ويعرف بـ : ( خَرْتَبِرْت ) ، في أقصى دياربكر من بلاد الروم ، بينه وبين ملطية مسيرة يومين وبينهما الفرات ، يقع بين آمد وملطية وهو الى ملطية أقرب ، على بعدٍ غير بعيد من شِمْشَاط ، وخرتبرت تعرف اليوم باسم : خربوط •

### ٦٨ – أَرْزَن = أَرْض روم = أَرْزَ روم :

مدينة جليلة سماها العرب : أرزن الروم ، من ارمينية ، وعرفها الارمن Karin [illegible] ) ، والروم باسم : (ثيودسيو بولس Theodasiopolis ) فيها جامع شيد على غرار الكعبة المشرفة ، وبازائه كنيسة لها قبة قطر دائرتها خمسون ذراعاً ، وفي أكثر دورها بساتين ، ويسقيها ثلاثة أنهار •

### ٦٩ – أونِيك = أبخور = أبشخور :

قلعة عظيمة فوق قمة جبل بالقرب من منبع نهـر الرس ، والمدينة التي بلحف الجبل كانت تسمى : ابسخور ( أو أبشخور ) ، وكانت من أعمال أرزن

الروم ، وكانت كورتها تسمى : ياسبن •

٧٠ – أَرْزَنْجان :

بلدة طيبة مشهورة نزهة كثيرة الخيرات والأهل ، من بلاد ارمينية ، بين بلاد الروم وخلاط ، قريبة من أرزن الروم ، وغالب أهلها أرمن ، وفيها مسلمون • تقع على نحو مئتي ميل غرب أرزن الروم ، على ضفة الفرات اليمنى أي الشمالية ، ويسميها أهلها : ارزنكان • جُددت أسوارها في المئة السابعة الهجرية ( الثالثة عشرة الميلادية ) ، فبنيت بالحجارة المهندمة المتلاحمة ، ذات هواء طيب ، ويكثر فيها القمح والقطن والعنب ، وفيها معدن النحاس يصنعون منه الأواني وغيرها ، ولها أسواق حسنة الترتيب ، ويصنع بها ثياب حسان تنسب اليها •

٧١ – بَابِرْت :

قرية حسنة كبيرة ، ومدينة حسنة من نواحي أرزن الروم ، من نواحي ارمينية ، تقع في شمالي أرزنجان •

٧٢ – كَمْخ :

مدينة وقلعة على الفرات الغربي على مسيرة يوم أسفل أرزنجان ، في يسار النهر أي في ضفته الجنوبية ، وهي : ( كمخا Kamcha ) عند الروم • وهي قلعة عظيمة في أسفلها مدينة على ضفة النهر ، وكان من أعمالها كثير من القرى الخصبة •

٧٣ – قلعة إبريق = الأَبْرُوق :

على ستين ميلا أو أكثر غرب كمخ ، يزورّ الفرات جنوباً بعد أن كانت وجهة مجراه من أرزن ( ارزروم ) نحو الغرب ، ويصب في ضفته اليمنى هنا

نهر ابريق نسبة الى قلعة ابريق القائمة في أعاليه ، وهذا هو النهر المعروف الآن بنهر ( جلته ايرمق ) الآتي من دوريك أي ديوريكي ، وجاء الاسم في بعض المصادر دفريكي. وقدكتبه الروم بصورة : (تفريك Tephrike ) ، وذكر الاسم في المخطوطات اليونانية بصورة : ( أفريك Aphrike ) ، فاختصر البلدانون العرب هذا الاسم فجعلوه بصورة : ابريق .

واشتهر هذا الموضع في ختام المئة الثالثة الهجرية ( التاسعة الميلادية ) بكونه معقلاً عظيماً للبيالقة ( Paulicians ) وهم فرقة غريبة من فرق نصارى الشرق ، ومذهبهم بين النصرانية والمجوسية ، فاضطهدهم بسبب ذلك ملوك القسطنطينية الارثودكس اضطهاداً شديداً . وكانوا على المذهب الذي أحدثه بولس الشمشاطي ، وعرفهم العرب بالبيالقة . وقد استولى البيالقة على تفريك وحصنوها ، وكان الخلفاء يؤازرونهم ويعينونهم ، فتمكنوا من رد جنود القسطنطينية بضع سنين .

### ٧٤ – قلعة عرب كير :

تقع على شيء يسير من جنوب نهر جلتة ايرمق وديوريك ، بالتقاء نهر صاري جيجك بالفرات ، والقلعة على نهر صاري جيجك ، واسمه البيزنطي ( Arabraces ) ، وهي ليست ابريق وتفريك ، وتسمى اليوم : مدينة ريوريكي ، وهو حصن للبيالقة أيضاً ، كالحصن السابق .

ويبدو أن هذه المدن كانت مسالح متقدمة للثغور الاسلامية التي سنذكرها وشيكا ، تصد الغزاة الروم الذين يتعرضون بالحدود الشمالية الشرقية للدولة الاسلامية .

## الثغور الجزرية (*)

### ١ – مَلَطْيَة :

تقع في الجنوب من سيواس وبينهما نحو ثلاث مراحل ، في شمالي زِبَطْرَة وبينهما مرحلة كبيرة، وهي قاعدة الثغور ومن أجلّ الثغور الاسلامية أمام الروم ، وقد سماها الروم : ( ميلتين Melitene ) .

كان لها مسلحة تحمي الجسر الذي على ثلاثة أميال منها ، وهناك يقطع الطريق العام نهر القُباقب بالقرب من ملتقاه بالفرات ، والقباقب هو النهر المعروف عند الروم باسم : ( ملاس Melas ) ويسميه الترك اليوم : ( طوخمه‌صو ) ، ومنبعه من قرب ملطية بعيداً عنها في الجبل الذي منه يخرج نهر جيحان ، وهو نهر : ( بيرامس Pyramus ) القديم الذي ينحدر نحو الجنوب الغربي الى البحر الابيض المتوسط في خليج الاسكندرونة .

ونهر القباقب ، أهم روافد أعالي الفرات بعد أرسناس ، ولنهر القباقب روافد كثيرة .

---

(*) الثغور : مدن لها موقع سوقي على الحدود بين الدولة الاسلامية والبلاد المعادية ، تشحن بالمدافعين عنها ، وواجبها صد أي اعتداء خارجي على البلاد الاسلامية ما استطاعت ، والا تعويق تقدم القوات المعادية الزاحفة بما يصل اليها المدد من القوات الاسلامية الضاربة ، كما تكون هذه الثغور قواعد متقدمة للانطلاق منها الى فتح المدن .

ولما آلت الخلافة الى هارون الرشيد الخليفة العباسي جعل لهذه الثغور ادارة مستقلة ، وسماها : العواصم ، وجعلها تابعة للجيش ، وقسم الثغور الى ثغور شامية وثغور جزرية ، انظر ابن الأثير (٦/١٠٨–١٠٩) .

والمراد بالعواصم هنا ، المدن التي تعصم من العدو وكان المسلمون في أيام قوتهم يتخذون الهجوم للدفاع عن حدودهم ، فهم يهاجمون العدو قبل أن يفسحوا المجال له لمهاجمته ، ومن المعروف أن الهجوم خير وسائل الدفاع .

وقد أمر الخليفة المنصور سنة أربعين ومئة الهجرية ( ٧٥٧م ) عبدالوهاب ابن ابراهيم بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس ، بتجديد بناء ملطية وبناء مسجدٍ حسنٍ فيها ، وبنى لها مسلحة ، فأقام عليها سنة حتى بناها واسكنها أربعة آلاف مقاتل ، وغزا الصائفة .

وهي مدينة كبيرة مسورة في بسيط من الارض ، تحف بها الجبال من بُعد ، ولها نهر عليه بساتين كثيرة يسقيها ، وجبالها كثيرة الجوز وسائر الثمار المباحة التي لا مالك لها ، ويمر نهرها بسور البلد ، وهي شديدة البرد .

ولملطية قنى تدخل البلد ، وتجرى في دوره وسككه .

وقد تعاورت ملطيةأيدي المسلمين والروم، بين كرّ و فرّ ،وقد احتلها الروم سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة الهجرية (٩٣٣م ) ، فاستعاد المسلمون فتحها .
وهي ذات حصن منيع ، ومراعيها مشهورة ، ويكثر فيها القمح والقطن والفواكه كالجوز واللوز والكروم وسائر الثمار الشتوية والصيفية * .

٢ – طُرَنْدة :

حصن طرندة ، في أعالي نهر القباقب ، على مسيرة ثلاث مراحل فوق ملطية ، وكانت مسلحةً اسلامية لحماية الدرب منذ فتحها عبدالله بن عبدالملك ابن مروان سنة ثلاث وثمانين الهجرية ( ٧٥٢ ) ، ولكنهم تخلوا عنها سنة مئة الهجرية ( ٧١٩م ) بأمر عمر بن عبدالعزيز ونقلوا أهلها الى ملطية ، لانها كانت داخلة في بلاد الروم متغلغلة بالعمق في أرضهم ، فخاف عمر بن عبدالعزيز على

---

* أما ملطية الحديثة ، فتقع على فرسخين من جنوب حصن طرندة الذي كان في العصور الوسطى قاعا ، وأطلال المدينة القديمة في ( أسكي شهر ) على فرسخ من الجسر القديم المسمى : ( قرقكز ) وهو يعلو نهر ( طوخمه‌صو ) فوق ملتقاه بالفرات بقليل .

المسلمين الذين فيها من الوقوع في أيدي الروم •

واسمها في المراجع البيزنطية : ( ترنتة Taranta ) ، واسمها حالياً : درندة ، وكانت قديماً قبل فتحها من أقوى حصون البيالقة •

٣ – زِبَطْرَة :

مدينة بين ملطية وسُمَيْسَاط والحدث، في طرف بلاد الروم، واشتهرت بحصنها العظيم ، على نهر قراقيس ، وهو رافد كبير من روافد نهر القُباقب ، يصب في جنوبه ، وتقع في أعالي نهر قراقيس •

ويقال لزبطرة عند الروم : ( سوز بطرة Sozopetra ) أو : ( زبطرة Zapetra ) ، ولعل أطلالها هي : (ويران شهر ) على بضعة فراسخ من جنوب ملطية على نهر : ( سلطان صو ) ، وهو الا سم الحديث لنهر قراقيس •

والحصن عظيم ، من أقرب الثغور الى بلد الروم ، خرّبه الروم غير مرة، ثم بناه الخليفة أبو جعفر المنصور وبعده الخليفة المأمون •

واشتهرت زبطرة فيالتواريخ العربية والبيزنطية باستيلاء الملك البيزنطي : ( ثيوفيلس Theophilus ) عليها ، واستعادة الخليفة المعتصم لها في حملته على عمورية ، فقال أبو تمام يمدح المعتصم :

لبَّيْتَ صوتاً زِبَطْرِيّاً هَرَقْتَ لـه
كأسَ الكَرَى ورُضابَ الخُرَّد العُرُب

٤ – الحَدَث :

قلعة حصينة تقع بين ملطية وسُميساط ومَرعش ، وتسمى الحمراء ، لأن تُربتها جميعاً حمراء ، وقلعتها على جبل يقال لـه : الأُحيدب ، فتحها المسلمون في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يدي حبيب بن مسلمة

الفِهري من قِبَل عياض بن غَنْم ، وكان معاوية بن أبي سفيان يتعاهدها بعد ذلك .

وكان بنو أمية يسمون درب الحدث : درب السلامة للطيرة ، لأن المسلمين سبق أن أصيبوا به ، وكان ذلك الحدث الذي سمي به الحدث فيما يقول بعضهم ، ومعنى الحدث في اللغة : الخبر ، ولا سيما الخبر المحزن .

ولما كانت فتنة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ، خرجت الروم ، فقدمت مدينة الحدث وأجلت عنها أهلها ، كما فعلت بملطية ، ولكن المسلمين استعادوا فتح ما استولى عليه الروم سنة احدى وستين ومئة الهجرية (٧٧٨م)، وجدد المهدي الخليفة العباسي عمارة الحدث سنة اثنتين وستين ومئة الهجرية (٧٧٩م) ، ثم أعاد الخليفة هرون الرشيد عمارتها من جديد ، وأسكنها ألفي مقاتل من جنده .

وقد تناوب المسلمون والروم عليها غير مرة ، وفي سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة الهجرية (٩٥٤م) بعد أن تداولتها أيدي المسلمين والروم ، استعادها سيف الدولة الحمداني وأعاد عمارتها ، فقال المتنبي عند ذلك :

هل الحَدَثُ الحمراءُ تعرفُ لونَها
وتعلم أي الساقيَين الغمائمُ
بناها فأعلى والقَنا يَقرَعُ القَنا
وموجُ المنايا حولها متلاطِمُ
طريدة دهرٍ ساقها فردَدتَها
على الدين بالهندي والأنف راغم
لقيتُ الليالي كلَّ شيء أخذنه
وهنَّ لما يأخُذنَ منك غوارم

ثم انتقلت الحدث الى يد مسعود بن قلج أرسلان السلجوقي في سنة خمسٍ وأربعين وخمسمائة الهجرية ( ١١٥٠ م ) .

والحدث هي : ( أداتا Adata ) عند الروم .

وكان النهر الذي تقوم الحدث بالقرب منه يسمى : نهر حُوَيرث الذي يصب في نهر جَيحان (بيرامس) ، وكان في الحدث مسجد جامع .

### ٥ ــ حِصْنُ مَنْصُور :

من أعمال ديار مُضَر في الجزيرة ، ولكنه في غربي الفرات قرب سُميساط ، وكان مدينة عليها سور وخندق وثلاثة أبواب ، وفي وسطها حصن وقلعة عليها سوران ، ومن حصن منصور الى زِبَطرَة مرحلة واحدة .

والحصن على نهر له ، والنهر من الروافد اليمنى للفرات ويصب فيه أسفل سُميساط ، ويقال لحصن منصور اليوم في الغالب : ( أديمان ) ، وكان الروم يسمونه : ( برها Perrha ) .

وقد نسب هذا الحصن الى بانية منصور بن جعونة بن الحارث العامري القيسي ، كان تولى بناء عمارته ومرمته ، وكان مقيما به أيام مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية ليرد العدو ومعه جند كثيف من أهل الجزيرة والشام وارمينية ، وكان منصور هذا على أهل الرها حين امتنعوا في أول الدولة العباسية ، فحصرهم أبو جعفر المنصور وهو عامل أخيه السفاح على الجزيرة وارمينية ، فلما فتحها هرب منه منصور ، ثم أمن فظهر ثانية . ولما خلع عبدالله ابن علي أبا جعفر المنصور ، ولي منصورا هذا شرطته ، وحين اخفقت ثورة عبدالله بن علي وهرب الى البصرة ، استخفى منصور بن جعونة ، فدل عليه سنة احدى وأربعين ومئة الهجرية (٧٥٨م) ، فأتى به المنصور ، فقتله بالرقة عند منصرفه من البيت المقدس .

ثم ان هرون الرشيد بنى حصن منصور وأحكمه وشحنه بالرجال في أيام أبيه المهدي •

وأصاب هذه المدينة ما أصاب غيرها من الثغور من نهب وتخريب ، لتعاور أيدي المسلمين والروم لها ، حتى أصبح هذا الحصن في المئة الثامنة الهجرية (الرابعة عشرة الميلادية) خرابا ، حوله مزدرع من الأرض ، وقد كان مدينة صغيرة حصينة فيها منبر ولها مزارع وقرى تسقى بالمطر ، وكانت في مستوى من الأرض ، فوق الفرات الذي يحاذي حدها الجنوبي •

٦ – قلعة بَهَسَنا :

تقع غرب حصن منصور ، بقرب مَرعش وسميساط ، على سن جبل عال ، والبلدة التي تحتها فيها جامع ، ولها أسواق عامرة ، وما حولها أرض واسعة الخير والخصب • والقلعة حصينة عجيبة • وعلى نهر سنجة القريب منها ، وهو ما أسماه الروم : ( سنكز Singas ) ، تقع سنجة وهي مدينة صغيرة ، بقربها قنطرة مشهورة على هذا النهر ، مبنية بحجر مهندم ، وهي طاق واحد ، وليس أعجب ولا أعظم منها ، ويضرب بها المثل ، باعتبارها احدى عجائب الدنيا •

وجاء ذكر قلعة بهسنا في أخبار الحروب الصليبية باسم : ( بهسدن Behasdin ) ، وكانت مدينة بهسنا على نهر من روافد الفرات اليمنى •

## الجبال والأنهار

### ١ – الجبال :

في اقليم الجزيرة جبال عالية وسهول خصبة وبواد قليلة المياه واضحة الجفاف •

وأهم ما في هذا الاقليم من جبال هو : جبل سنجار ، بين الخابور ودجلة،

يبلغ ارتفاعه (٤٨٠٠) قدما • وجبل ابراهيم ، يبلغ ارتفاعه (١٧٥٣) قدما • وجبل مكحول يبلغ ارتفاعه (١٦٠٠) قدماً •

وهذه الجبال الثلاثة تقع في غربي دجلة •

أما في شرقي دجلة ، بين دجلة والزاب الكبير ، فهناك جبل باعشيقا يبلغ ارتفاعه (٢١٧٧) قدما ، وجبل مقلوب ، يبلغ ارتفاعه (٣٤٨٣) قدما •

وهناك جبال منفردة أخرى ، بين الزابين الكبير والصغير ، وبين هذا الاخير والحدود العراقية الايرانية الحالية •

وعلى العموم ، فان جبال هذا الاقليم ليست مرتفعة ولا شاهقة ولا وعرة، وتقع الجبال الشاهقة في شمالي هذا الاقليم بصورة خاصة •

## ٢ ـ الأنهار :

ينبع نهرا دجلة والفرات من الشمال الشرقي لمنطقة اقليم الجزيرة ، وتتصل روافدهما بهما من الجهة اليسرى من النهرين : دجلة والفرات •

ينبع نهر الفرات من الجبال الواقعة بين بحيرة ( وان ) في جبال ارمينية وبين البحر الأسود ، عند خط العرض (٤٠) شمالا في بلاد الروم ـ كما كان يعبر الجغرافيون القدامى ( تركيا حاليا ) •

ويتمتع الفرات ـ على عكس دجلة ـ بأهم روافده قبل دخوله الحدود العراقية وأهمها : رافدا البليخ [٥] والخابور •

(٥) البليخ : اسم نهر بالرقة ، يجتمع فيه الماء من عيون ، واعظم تلك العيون عين يقال لها : الوهبانية في ارض حران ، فيجري نحو خمسة أميال ، ثم يسير الى موضع قد بنى عليه مسلمة بن عبدالملك حصناً يكون أسفله قدر جريب ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٢/٢٨٢ ـ ٢٨٣ ) .

ويبدو أن المسعودي [٦] كان أكثر دقة في استمكان منبع الفرات ، حيث ذكر أن مبدأ الفرات من جبال ارمينية : «على نحو يوم من قاليقلا شمال أرضروم » ، والمسعودي على صواب ، اذ أن منبع الفرات الاصلي هو ( قرهصو ) كما هو معروف ، وقاليقلا مدينة تعد من مدن ارمينية الرابعة [٧]، تقع بالقرب من الحدود الشرقية البيزنطية في هضبة ارمينية الغربية التي تتصل بهضبة الانضول في أرض سهلة مستوية [٨] .

أما نهر دجلة ، فينبع من جبال شهرزور فوق آمد على حدود ارمينية ، ويمر بجبال السلسلة ثم بمدينة آمد ومدينة ميافارقين في ديار بكر قبل أن يصل الى مدينة الموصل الحدباء في ديار ربيعة ، حيث يتصل به رافداه : الزاب الكبير ، والزاب الصغير ، ثم يتجه الى تكريت غربي ديار بني شيبان حتى يصل الى بغداد .

ومنبع الزابين : الكبير والصغير ، من جبال ارمينية ، ويصب الزاب الكبير في دجلة بمدينة الحديثة ، ويصب الصغير في دجلة أيضا بمدينة السن [٩] .

تلك هي مجمل أنهار اقليم الجزيرة ، لاعطاء فكرة موجزة عما تضم هذه المنطقة العريقة من أنهار .

(٦) مروج الذهب للمسعودي ( ٦١/١ ـ ٦٢ ) .
(٧) فتوح البلدان (٢٧٢) .
(٨) الموقع الجغرافي للعراق (٢٩٥) .
(٩) الدولة الحمدانية ( ١٢٧/١ ـ ١٢٨ ) .

## السكان

### ١ ـ العرب

العرب هم أغلب سكان اقليم الجزيرة قبل الفتح الاسلامي ، وكانوا مزيجا من قبائل مُضَر وربيعة العدنانيين ومجموعات قبلية أخرى عدنانية وقحطانية، استقرت هناك نتيجة هجرات متتابعة في أزمان مختلفة قبل الاسلام بعدة قرون .

فقد ذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، أراد أن يأخذ الجزية من نصارى بني تغلب ، فانطلقوا هاربين ، ولحقت طائفة منهم ببعد من الارض ، فقيل لعمر : «أنشدك الله في بني تغلب ، فانهم قوم من العرب نائفون من الجزية ، وهم قوم شديدة نكايتهم ، فلا يُعَن عدوك عليك بهم» ، فأرسل عمر في طلبهم ، فردّهم وأضعف عليهم الصدقة ، فقبلوا أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة ، وقالوا : «أما اذ لم تكن جزية كجزية الأعلاج ، فانّا نرضى ونحفظ ديننا » [١٠] . وكان الامام الزُهري يقول : « ليس في مواشي أهل الكتاب صدقة، الاّ نصارى بني تغلب ــ أو قال : نصارى العرب ــ الذين عامة أموالهم المواشي ، فان عليهم ضعف ما على المسلمين» [١١] ، وهذا دليل على ان العرب كانوا في الجزيرة قبل الفتح الاسلامي .

ويبدو أن أهم القبائل العربية في الجزيرة قبل الاسلام ، كانت : تغلب ، واياد ، والنمر [١٢] ومُضَر .

وبنو تغلب هم : تغلب بن وائل بن قاسِط بن هِنب بن أفصى بن دعمى

(١٠) البلاذري ( ٢٤٩ ــ ٢٥١ ) .
(١١) البلاذري ( ٢٥١ ) .
(١٢) ابن الاثير ( ٢/٥٢٣ ) .

ابن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار [١٣] ، وهم من ربيعة بن نزار بن معد بن عدنـــان [١٤] .

واياد بن معد بن عدنان [١٥] ، واياد بن نزار بن معد بن عدنان [١٦] .

والنمر بن قاسط بن هنب بن افصى بن دعمي بن جديـلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان [١٧] .

أما مُضَر ، فهو مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، ومضر واياد وربيعـة اخوة ، فهم أبناء نزار بن معـد بن عدنان [١٨] ، وبنو تغلب من ربيعة أيضـا كما ذكرنـا .

وقد أطلقت المراجع الفارسية على منطقة نصيبين وما حولهـا اسـم : (عربستان) أي بلاد العرب ، كما أطلق سترابو اسم بلاد العرب على اقليـم الجزيرة الواقع جنوبي المنطقة الكردية والتي تمتد حتى الصحراء [١٩] .

ويبدو من تتبع تاريخ امارة ( الحضر Hatra ) التي مـازالت آثارها ماثلة للعيان في منخفض من بادية جزيرة العراق على مقربة من الضفة الغربية لوادي الثرثار بين تكريت والموصل ، أن العرب عاشوا هناك منـذ سقوط دولة الآشوريين في سنة (٦١٢) قبل الميلاد ، وأنهم أقاموا سلالة حاكمة. ان وجود آلهة عربية عـُبدت في الحضر أيام الآشوريين الى جانب الآلهة

(١٣) جمهرة انساب العرب ( ٤٦٩ ) .
(١٤) جمهرة انساب العرب ( ١٠ ) .
(١٥) جمهرة انساب العرب ( ٩ و ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ) .
(١٦) جمهرة انساب العرب ( ١٠ ) .
(١٧) جمهرة انساب العرب ( ٣٠٠ ) .
(١٨) جمهرة انساب العرب ( ١٠ ) .
(١٩) الدولة الحمدانية ( ١٩٥/١ ) .

الآشورية ، أتى بها العرب من جزيرتهم كاللّات وشمش يقف دليلا على وجود العرب في المنطقة قبل الميلاد بقرون ، وقد حكمت في الحضر سلالة عربية مـدة ثلاثة قرون ، وكان أول حكامها أميرا عربيا اسمه سنطروق ورد ذكره في كتابة اكتشفت هناك نصت على أن أباه اسمه : نصر ، وأن لقبه : ملك العرب[٢٠] ، ويبدو ان حكام هذه الامارة كانوا من قبيلة قُضاعة[٢١] .

وقضاعة هو : قضاعة بن عَدنان ، وقال قوم : قضاعة بن مالك بن حمير ، وقال قوم منهم الكلبي : هو قضاعة بن مالك بن عمرو بن مُرة بن زيـد بـن مالك بن حِميَر[٢٢] .

يقول ياقوت الحموي في حديثه عن مدينة الحضر : «ان بني قضاعة لما افترقوا ، سارت قبيلة منهم الى أرض الجزيرة ، وعليهم ملك يقال له الضيزن ابن جلهمة أحد الاحلاف ، فنزلوا مدينة الحضر»[٢٣] ، والضيزن من العرب من قضاعة ، وهو الضيزن بن معاوية بن العبيد بن الأجرام بن عمرو بن النخَع ابن سليح بن حُلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة ، وان أمـه من تزيد بن حلوان اسمها : جيهلة[٢٤] ، وانه كان يعرف بأمه ، وكان ملك الجزيرة ، وكان معه من بني عبيد بن الأجرام وقبائل قضاعة مالايحصى ، وأن ملكه كان قـد بلغ الشام[٢٥] .

وظل الضيزن على عرشه حتى نشب عداء بينه وبين سابور بن أردشير

---

(٢٠) الحضر ــ نشرة لمديرية الآثار العامة ــ بغداد .
(٢١) الطبري ( ٢/٤٧ ) وابن خلدون ( ٢/٢٤٩ ) .
(٢٢) جمهرة انساب العرب ( ٤٤٠ ) .
(٢٣) معجم البلدان ( ٣/٢٩٠ ) .
(٢٤) في معجم البلدان : جلهمة ، وفي الأغاني : جبهلة .
(٢٥) الطبري ( ٢/٤٧ ) .

ملك الساسانيين أسفر عن مقتل الضيزن وسقوط امارة الحضر بيد الساسانيين وتشتت قضاعة وبني حلوان ممن كانوا في الحضر [٢٦] .

وبنو حلوان ، ينتسبون الى حلوان بن عمران بن الحافي بن قضاعة[٢٧] .

والمهم هو تأكيد وجود قبائل قضاعة في الحضر يوم حاصرها سابور الاول (٢٤١ م — ٢٧٢م) .

وأضخم هجرة عربية الى الجزيرة ، هي تلك التي حدثت في القرن السابع الميلادي ، وتفصيل الأمر ، أن ربيعة العدنانية بعد أن خرجت من سلطة اليمن في أواخر القرن الخامس الميلادي وخلعت طاعتها ، وأصبحت قائدة لقبائل معد من قضاعة ومضر واياد ونزار ، بدأت بينها وبين حلفائها من القبائل الاخرى ، وبين بطونها هي نفسها ، وقائع وحروب أدت الى كثير من المآسي. أما الذي يهمنا هنا ، فهو ما أعقب ذلك من هجرات قبلية كبيرة الى الجزيرة ، هي التي أعطتها تكوينها البشري النهائي وأسماء مناطقها : ديار ربيعة ، وديار مضر ، وديار بكر ، فالحروب التي جرت بين بكر وتغلب من قبائل ربيعة ، وأهمها حرب البسوس [٢٨] من أيام العرب بين بكر وتغلب ، والوقائع التي جرت بين شيبان وتغلب من ربيعة أيضا [٢٩] ، والتي جرت بين قبائل ربيعة ومضر ، وبين قبائل مضر ذاتها وبخاصة حرب داحس والغبراء [٣٠] ، وبين عبس وذبيان [٣١] ، كل ذلك أدى الى هجرات متتالية الى البلاد المجاورة ومنها

---

(٢٦) انظر التفاصيل في الطبري (٢/٤٨ — ٥٠) ومعجم البلدان (٣/٢٩١) .
(٢٧) جمهرة انساب العرب ( ٤٥٠ ) .
(٢٨) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية ( ١/١٤٢ — ١٦٨ ) .
(٢٩) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية ( ١/١٦٩ — ٢٢٨ ) .
(٣٠) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية ( ١/٢٢٩ — ٣٠٩ ) .
(٣١) انظر التفاصيل في : أيام العرب في الجاهلية (١/٢٣٠ — ٢٩٩) .

الجزيرة ، بسبب البحث عن أرض جديدة وعيش أكثر رخاء [٣٢] .

واذا أردنا أن نتعقب هجرة هذه القبائل العدنانية ، نجد أنها تحركت أول الأمر من موضعها في شبه الجزيرة العربية ، فتركت ثلاث بطون من ربيعة أماكنها في تهامة والحجاز ونجد وهي تغلب بن وائل ونمير بن قاسط وشيبان ابن بكر بن وائل أخ تغلب ، واستقر هؤلاء جميعا في حدود مملكة اللخميين في الحيرة ، على حين استوطنت جماعات منهم بين الكوفة والبصرة قبل أن تبنى هاتان المدينتان الاسلاميتان . ونجد أن تهامة تضيق عن أنمار بعد حرب بينها وبين مضر ، فتنزح عن مواطنها ، ثم نزحت اياد بعد حرب على ربيعة ومضر ، فنزل بعضهم الجزيرة وتكريت والموصل [٣٣] حيث سبقهم الى اقليم الجزيرة بنو عمهم من بكر بن وائل وغيرهم . وبعد حرب حاسمة بين بكر وتغلب هزمت تغلب التي كانت متزعمة على قبائل ربيعة وبيدها لواؤها ، فتفرقت في الأصقاع ، فانحازت النمر وغفيلة ، وغفيلة هم بنو عامر بن قاسط بن هنب بن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار [٣٤] ، انحازوا الى أطراف الجزيرة وعانات ومادونها الى ديار بكر وماخلفها من بلاد قضاعة[٣٥] ، على حين استقرت بكر في مناطق كثيرة من الجزيرة ، واستقرت بعض بطونها في ديار بكر من اقليم الجزيرة . وبعد خروج ربيعة ظلت مضر وحدها في منازلها بتهامة ، حتى كثرت أعدادها وضاقت بهم مساكنهم ، فخرجوا يبحثون عن أرض جديدة،

(٣٢) الدولة الحمدانية ( ١/١٦٧ ـ ١٦٩ ) .
(٣٣) البكري ( ٧ ) .
(٣٤) جمهرة انساب العرب ( ٣٠٠ ) .
(٣٥) بلاد قضاعة : كانت مساكن قضاعة ومراعي اغنامهم جدة ميناء مكة المكرمة الواقعة على البحر الأحمر فما دونها شرقا الى منتهى ذات عرق وهي الحد بين نجد وتهامة الى حيز الحرم من السهل والجبل .
(٣٦) الدولة الحمدانية ( ١/١٧٠ ) .

والاقتتال في أثناء ذلك يزداد حدة بين قبائلها ، والذي يهمنا أن بعض قبائل مضر استقرت في الجزيرة ، ومنها : نمير ، وعقيل ، وقشير ، وتميم ، وعمرو بن مالك وسليم وغيرهم [٣٧] .

ونُمير ، هم بنو نمير بن عامر بن صعصعة[٣٧] بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر [٣٨] .

وعُقَيل ، هم بنو عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من مضر [٣٩] .

وقُشَير ، هم بنو قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من مضر [٤٠] .

وتميم ، هم بنو تميم بن مر بن أد بن طابخة بن مضر [٤١] .

وعمرو بن مالك ، هو عمرو بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس من الأزد [٤٢] اليمانية .

وسُلَيم ، هم بنو سليم بن فهم بن غنم بن دوس من الأزد[٤٣] اليمانية .

لقد كانت جذور العرب في الجزيرة عريقة جدا ، تمتد الى بضعة قرون قبل الاسلام ، وكانوا في الجزيرة قبل الفتح الاسلامي ، فلا عجب أن يتمسك

(٣٧) جمهرة أنساب العرب ( ٢٧٩ ) .
(٣٨) جمهرة أنساب العرب ( ٢٧١ ) .
(٣٩) جمهرة أنساب العرب ( ٢٩٠ ) .
(٤٠) جمهرة أنساب العرب ( ٢٨٩ ) .
(٤١) جمهرة أنساب العرب ( ١٩٨ و ٢٠٧ و ٤٦٦ ) .
(٤٢) جمهرة أنساب العرب ( ٣٨٠ — ٣٨١ ) .
(٤٣) جمهرة أنساب العرب ( ٣٨١ ) .

عرب الجزيرة بالسجايا العربية والمثل العربية العليا ، ويحرصون على الدفاع عن السجايا العربية ومثل العرب العليا .

وكان عرب الجزيرة ، قبل الفتح الاسلامي ، وقبل الاسلام ، يشكلون الأكثرية المطلقة بين مختلف عناصر السكان ، لذلك كانت لهم امارات ودول وجيوش وحضارة ، وسيطروا على الطرق التجارية التي تمر عبر الجزيرة من الشمال الى الجنوب ، ومن الجنوب الى الشمال ، ومن الشرق الى الغرب ، ومن الغرب الى الشرق .

**٢ ـ الأكراد :**

سكن الاكراد اقليم الجزيرة منذ القدم ، وكانوا عنصرا مهما من عناصر سكانها ، اشتهروا بقوة أبدانهم وشدة بأسهم وقدرتهم الحربية التي اكتسبوها من طبيعة بلادهم الجبلية الوعرة .

والآثار القديمة الخاصة بالاكراد ، المكتشفة حتى اليوم ، لاتعطينا فكرة قاطعة عن أصل الاكراد ومنشئهم (٤٤) ، ومن المحتمل جدا أن الاكراد هاجروا في الاصل من شرقي ايران الى الغرب في منطقة كردستان واستوطنوا فيه منذ فجر التاريخ ، وهذا لايمنع وجود أقوام في تلك المنطقة قبل هجرة الاكراد اليها ، فاختلط الشعب الوافد بتلك الاقوام واندمج فيها اندماجا كليا ، فصاروا أمة واحدة على مدى الايام (٤٥) .

وكان الاكراد قبل الاسلام يدينون بالعقيدة الزردشتية التي ظهرت في فارس وميديا ، فلما ظهر الاسلام وانتشر في اقليم الجزيرة ، اعتنقه الاكراد وأخلصوا له واندمجوا في المجتمع الاسلامي الكبير الذي ضم عديدا من

(٤٤) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ( ٤٠ ) .
(٤٥) خلاصة تاريخ الكرد وكردستان ( ٤١ ) .

الاجناس والاقوام .

ويذكر قسم من المؤرخين العرب ، أن أصل الاكراد من العرب[٤٦] ، ولا دليل على ذلك . وليس معنى هذا ، أنه لايوجد العنصر العربي في الاكراد، فالواقع أن قسما من القبائل العربية جاورت الاكراد ردحا طويلا ، فاندمجت بهم اندماجا كاملا في العادات واللغة . وكمثال على ذلك ، فقد نزل مدينة حلوان القريبة من خانقين قوم من ولد جرير بن عبدالله البجلي [٤٧] ، فأعقابهم بها [٤٨] ، أي أن قبيلة بجيلة العربية أو قسما منها نزلت منطقة خانقين وحلوان في أيام الفتح الاسلامي ، واليوم في هذه المنطقة قبيلة كردية باسم : ( باجلان ) ، وهي بمعنى : بجلي ، نسبة الى بجيلة القبيلة العربية المعروفة ، لأن الألف والنون في باجلان علامة نسبة بهلوية [٤٩] .

وما يقال عن قبيلة بجيلة العربية التي استكردت ، يقال عن قسم من أعقاب الصحابى الجليل جرير بن عبدالله البجلي العرب الذين استكردوا . وقد قضيت بضع سنوات قائدا لحامية قصبة عقرة الكردية ، فكان رؤساء عشائرها بدون استثناء هاشميين أو عباسيين أو أمويين ، ولديهم وثائق تثبت صحة نسبهم الى تلك البيوتات العربية العريقة ، مما يدل على أن الصلة الوثيقة بين العرب والاكراد لاتقتصر على علاقات الدين والجوار ، بل تشمل أيضا

(٤٦) مروج الذهب ( ٣/٢٥٣ ــ ٢٥٤ ) ووفيات الأعيان ( ٤/٤٣٩ ) .
(٤٧) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٥٦ ــ ٣٧١) ، وكتابنا : سفراء النبي صلى الله عليه وسلم .
(٤٨) انظر : قادة فتح العراق والجزيرة ( ٣٦٤ ــ ٣٦٥ ) .
(٤٩) راجع كتاب : دستور بهلوي (٢٠٧) ــ بمبي ــ ١٩٢٤م ، فباجلان اذن نسبة الى بجيلة ، فأسقطت منها التاء المربوطة بعد ان تحولت الى هاء صامتة تخفيفا ، فأضيفت الى آخر الكلمة أداة النسبة البهلوية (ان) ، ثم أشبعت فتحة الباء فتحولت ألفا ، فأصبحت الكلمة : باجلان .

علاقة القربى ، علاقة الدم ، فهي أوثق من أن تضعفها الأهواء والنزعات والنزوات ، لانها علاقة عضوية أزلية •

٣ – الآراميون :

مجموعة من القبائل السامية التي عاشت في المدة الممتدة بين القرنين الحادي عشر والثامن قبل الميلاد ، في منطقة آرام التي تشمل مساحات واسعة من شمال سورية ، فاستولت على مناطق واسعة أخرى في الجزيرة العربية •

ويبدو أن موطن الآراميين الاصلي كان الصحراء السورية ( بادية الشام )، ومنها انتقلت شأنها شأن غيرها من القبائل الى الارض الزراعية المجاورة ، حيث اختلطت بالشعوب الاخرى المقيمة هناك •

ولقد وردت أخبار الآراميين في النصوص الآشورية التي يتضح منها أنهم كانوا يعيشون عند نهر الخابور وفي منطقة الفرات الأوسط ، وذكرهم الملك الآشوري تجلات بلاصر الاول (١١١٦ – ١٠٧٦ ق•م ) فقال : « انه شن عليهم ثمانياً وعشرين حملة تمتد من تدمر الى عانات » •

وفي نهاية القرن الحادي عشر قبل الميلاد ، كونوا دولة ( بيت عدن Bit - Adin ) على ضفتي الفرات أسفل كركميش ، كما أقاموا في وادي الخابور مشيخات عديدة ، واستولت بعض قبائلهم على نصيبين وعلى المنطقة الواقعة جنوب غربي ماردين ، بل انهم بلغوا منطقة جبل طور عابدين غرب الفرات ، وفي الجنوب امتد نفوذهم حتى دمشق • وقد اتسع نفوذ الآراميين خلال القرن الحادي عشر ق•م ، فاحتلوا سورية وانتشروا على طول نهر الفرات الاوسط والاسفل ودجلة الاوسط ، وفرضوا نفوذهم السياسي على بابل نفسها ، بحيث أصبح مابين بابل والبحر الابيض المتوسط تحت سطوة القبائل الآرامية المعروفة بالكلدانيين في التوراة •

وقد ظل الصراع محتدما بين الآشوريين والآراميين حتى قيام الامبراطورية البابلية الجديدة المعروفة بالكلدانية ، حيث اندمجت العناصر الكلدانية والآرامية والبابلية ببعضها •

لقد قام الآراميون بدور بارز في الحياة الثقافية والتجارية لاقليم الجزيرة، فمن الناحية الثقافية نجد أن اللغة الآرامية ، وهي لغة سامية لها شبه باللغة العربية ، تصبح منذ القرن التاسع قبل الميلاد لغة أدبية ثقافية ، ثم تصبح فيمابعد لغة التجارة والثقافة في بلاد مابين النهرين خلال حكم الآشوريين المتأخر والبابليين والكلدانيين (بابل الجديدة) ، حتى اذا ما سقطت هذه الاقاليم ضمن الامبراطورية الفارسية (٥٣٩ ــ ٣٣٢ ق٠م ) ، كانت اللغة الآرامية لغة مستعملة مابين مصر والهند ، غير أن انتصارات الاسكندر المقدوني واحتلاله لقسم من البلاد الشرقية في آسيا كما هو معروف ، أحل اللغة اليونانية محل اللغة الآرامية لغة رسمية في الشرق ، ومع ذلك ظلت لهجات آرامية تحيا خلال العهود الرومانية ، بل ان هذه اللغة ما زالت في بعض قرى سورية والجزيرة وأذربيجان وطور عابدين وبحيرة أورمية •

وعلى الرغم من أن الجغرافيين والمؤرخين العرب ، لم يستعملوا لفظة : ( الآراميين ) للدلالة على القبائل الآرامية ، الا انهم استخدموا لفظة : ( نصارى ) ، وهم بذلك يشيرون الى الآراميين الذين عاشوا منذ قرون عديدة قبل الاسلام في اقليم الجزيرة •

كما نعثر كثيرا على لفظة : ( الجرامقة ) للدلالة على النصارى في الجزيرة بصورة خاصة ، ويستعمل ابن حوقل لفظة : ( الشهارجة ) ، ويريد بهم النصارى أيضا (٥٠) ، كما يستعمل هذه اللفظة غيره من المؤرخين والجغرافيين

(٥٠) صورة الارض ( ١٩٦ ) وانظر ابن الاثير (٢/٥٢٣) .

العرب .

والجرامقة هم الآراميون ، وكانت لغتهم لغة السريان الشرقيين ، وأصل كلمة : (الجرمقاني) التي هي مفرد كلمة الجرامقة ، معربة عن أصلها الآرامي : (جرمقايا) أي من كان أصله من : (بيت كرمـاى) [٥١] ، وقد توصل نولدكه بدراساته أن الجرامقة هم من الاصل الآرامي أو النبطي . وعلى الرغم مـن أن المؤرخين العرب استعملوا لفظة : ( النبط ) للدلالة على أخلاط الفلاحين في العراق ، الا أنهم أرادوا بهم على وجه الدقة الآراميين [٥٢] .

ولايزال بقايا الآراميين في كثير من مدن وقرى الجزيرة حتى اليوم .

# الفهرس


| المحتوى | الصفحة |
|---|---|
| المقدمة | 3 |
| الموقع والحدود | 3 |
| المدن | 7 |
| أولاً : ديار ربيعة | 7 |
| 1- الموصل | 7 |
| 2- نينوى | 9 |
| 3- برطلى | 11 |
| 4- باعشيقا | 11 |
| 5- كرمليس | 11 |
| 6 - جهينة | 12 |
| 7- الحديثة | 12 |
| 8- السنّ | 12 |
| 9- البوازيج | 13 |
| 10 - بارما | 13 |
| 11- دقوقاء = داقوق - طاووق | 13 |
| 12 - إربل = أربيل | 14 |
| 13- العماديّة | 14 |
| 14- فيشابور = فيشخابور | 15 |
| 15- الحسنية = زاخو | 15 |
| 16- معلثايا | 16 |
| 17 - جزيرة ابن عمر | 16 |
| 18 - بازبدى | 16 |
| 19 - نصيبين | 16 |

| | |
|---|---|
| 20 - رأس العين | 17 |
| 21 - ماردين | 17 |
| 22- طور عبدين | 18 |
| 23- دنيسر | 18 |
| 24- دارا | 18 |
| 25- كفر توثا | 19 |
| 26- ماكسين | 19 |
| 27 - عربان | 19 |
| 28 - سكير العباس | 19 |
| 29 - سنجار | 20 |
| 30 - الحضر | 20 |
| 31 - أسكى موصل = بلد | 21 |
| 32 - تل أعفر | 22 |
| 33- المحلبية | 22 |
| 34 - باعيناثا | 22 |
| 35 -برقعيد | 23 |
| 36 - أذرمة | 23 |
| **ثانياً : ديار مضر** | 24 |
| 37 - الرقّة والرافقة | 24 |
| 38 - صفيّن | 25 |
| 39 - قلعة جعبر | 26 |
| 40 - حرّان | 26 |
| 41 - الرها | 27 |
| 42 - باجدا | 27 |
| 43 - حصن مسليمة | 27 |
| 44 = باجروان | 28 |
| 45 - قرقيسياء | 28 |

| | |
|---|---|
| 46 - الرحبة | 28 |
| 47 - الدالية | 31 |
| 48 - الرصافة | 32 |
| 49 - الخانوقة | 32 |
| 50 - عانة | 33 |
| 51 - بالس | 33 |
| 52 - جسر منبج | 34 |
| 53 - سميساط | 34 |
| 54 - سروج | 35 |
| **ثالثاً : ديار بكر** | 35 |
| 55- آمد | 35 |
| 56 - حاني | 36 |
| 57 - ميافارقين | 36 |
| 58 - أرزن | 37 |
| 59 - حصن كيفا | 37 |
| 60 - فافان | 38 |
| 61 - سعرت - إسعرد - إسعرت | 38 |
| 62 - حيزان | 39 |
| 63 - الهتاخ | 39 |
| **مدن الفرات الأعلى** | 39 |
| 64 - منازجرد | 39 |
| 65 - موش | 39 |
| 66 - شمشاط | 40 |
| 67 - حصن زياد | 40 |
| 68 - أرزن = أرض روم = أرز روم | 40 |
| 69 - أونيك = أبخور = أبشخور | 40 |
| 70 - أرزنجان | 41 |

| | |
|---|---|
| 71 - بابرت | 41 |
| 72 - كمخ | 41 |
| 73 - قلعة إبريق = الابروق | 41 |
| 74 - قلعة عرب كير | 42 |
| الثغور الجزرية | 43 |
| 1- ملطية | 43 |
| 2- طرندة | 44 |
| 3- زبطرة | 45 |
| 4 - الحدث | 45 |
| 5 - حصن منصور | 47 |
| 6 - قلعة بهسنا | 48 |
| الجبال والأنهار | 48 |
| 1- الجبال | 48 |
| 2- الأنهار | 49 |
| السكان | 51 |
| 1- العرب | 51 |
| 2- الأكراد | 57 |
| 3- الآراميون | 59 |
| المحتويات | 62 |


تنويه: هذا الفهرس ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعددته تسهيلاً للوصول الى المواضيع .

م. سرمد حاتم شكر السامرائي

# الفهـــرس

## ( المقـالات )


الصفحة

**اللواء الركن محمود شيت خطاب**

بلاد الجزيرة قبــل الفتح الاسلامي وفي أيامه ........................ ٣

**الشيخ محمد حسن آل ياسين (تحقيق)**

كتاب السحاب والمطر ، وكتاب الأزمنة والرياح ........................ ٦٢
( لأبي عبيد القاسم بن سلام )

**الدكتور جميــل ســعيد**

الاســلام وحرية الراي ........................ ٩١

**الدكتور جابر الشــكري**

كتاب كيمياء العطر والتصعيدات المنسوب للكندي ........................ ١١٣

**الدكتور محمد ضاري حمادي**

الفعل الثلاثي المجرد ، وحقيقة قياسيته ........................ ١٥١

**الدكتور يونس احمد السامرائي**

علي بن يحيى المنجم ........................ ٢٠١

**الدكتور محمد جابر فياض**

مفهوم الفصاحة لغة واصطلاحاً ........................ ٢٦٢

**الدكتور علي حسين البواب (تحقيق)**

الأمثال الكامنة في القرآن ( للحسين بن الفضل ) ........................ ٢٩٩


## ( عرض الكتب )


**الاستاذ محمد احمد الدالي**

نظرات في شرح هاشميات الكميت ( بتفسير ابي رياش ) ........................ ٣٢٠

# بلاد الجزيرة

## قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه

اللواء الركن محمود شيت خطاب

فرزة من : مجلة المجمع العلمي العراقي

الجزء الثاني - المجلد السادس والثلاثون

شوال ١٤٠٥ هـ

حزيران ١٩٨٥ م

# مجلة المجمع العلمي العراقي



شــوال ١٤٠٥ هـ
حزيران ١٩٨٥ م

# بلاد الجزيرة

## قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه

اللواء الركن محمود شيت خطاب

### ( القسم الثاني )

### الموارد الاقتصادية للاقليم

اقليم الجزيرة غني في انتاجه الزراعي وموارده الطبيعية ، يرويه نهران كبيران هما دجلة اولفرات وروافدهما العديدة ، فكانت دجلة تروي منطقة دياربكر ، على حين امتدت ديار مضر على طول نهر الفرات ، وأمد الخابور والزاب الاسفل منطقة ديار ربيعة .

وعلى الرغم من أن دجلة يجري في الجزيرة ، فان مياهه منخفضة عن مستوى الارض ، مما جعل الاستفادة منها صعبة للاغراض الزراعية الا بالوسائل لرفع الماء ، لذلك اعتمد هذا الاقليم على الامطار التي تسقط عادة بين شهري تشرين الاول ( أكتوبر ) ونيسان (أبريل) سنويا ، كما اعتمد على العيون الكثيرة ، حتى قيل ان مدينة (رأس عين) حوت أكثر من ثلاثمائة عين [٥٣] ، وكانت نصيبين تستمد ماءها من نهر ماؤه من عين تنبع من جبل

---

(٥١) بيت كرماي : يسميها العرب : باجرمى ، تقع شرقي دجلة ، بينه وبين الزاب الاسفل وجبال حمرين ونهر ديالى .

(٥٢) الدولة الحمدانية ( ١٨٧ ـ ١٩٢ ) .

(٥٣) صورة الارض ( ٢٧٨ ) .

قريب منها [٥٤] • وقامت على الفرات مدن ديـار مضر كالرقـة وقرقيسياء ، فأفادت مزارعها من مياه النهر القريبة التي كانت ترويها بسهولة ويسر لانخفاض ضفاف هذا النهر •

ومجمل القول : ان المدن والارض البعيدة عن مجاري الانهار ، اعتمدت على الامطار والعيون والآبار •

وكانت أهم وسائط الري : الدولاب والدالية والناعورة • والدولاب : آلة تديرها الدابة ليسقى بها • والدالية : آلة ترفع الماء وتديرها الأبقـار • وأما الناعورة : فآلة تركب على الانهار ويديرها الماء [٥٥] •

ويذكر ابن حوقل عروب الموصل الكثيرة في وسط دجلة ، وهي المطاحن القائمة في مجرى النهر الشديد الجريان : « موثقة بالسلاسل الحديد » ، في كل عربة منها أربعة أحجار ، يطحن كل حجرين في اليـوم والليلـة خمسين وِقْراً [٥٦] ، وهذه العروب من الخشب والحديد ، وربما دخل بها شيء من الساج ، ويشير كذلك الى عروب بلد والرقة وقلعة جعبر وتكريت والحديثـة التي كانت قائمة وسط دجلـة ، والتي تجهز المنـاطق المجاورة القريبة منهـا والبعيدة بما تحتاج اليه من طحين [٥٧] •

وكانت أغلب مدن الجزيرة محاطة بالأرض الزراعية ، فقد كانت الموصل الحدباء ـ قصبة ديار ربيعة ـ ذات نـواحٍ عريضة ورسـاتيق [٥٨] عظيمة

---

(٥٤) رحلة ابن جبـير (١٩٦) .
(٥٥) الحضارة الاسلامية . آدم متز ( ٢٤٨/٢ ) .
(٥٦) الوقر : الحمل الثقيل . (ج) : أوقار .
(٥٧) صورة الارض ( ١٩٨ ) .
(٥٨) الرساتيق : (ج) رستاق، وهو موضع فيه مزدرع وقرى أو بيوت مجتمعة. ( مع ) .

وكور [٥٩] كثيرة ، غزيرة الاهل والقرى والقصور والمواشي الى غير ذلك من أسباب النتاج السائمة من الأغنام والكراع [٦٠] . ويعدد ابن حوقل مواد المنطقة ، فيقول : ان المرج اشتهر بسوق الأحد الذي يزخر بالامتعة ، وقردى وبازبدى كانتا تنتجان القمح والشعير والحبوب الاخرى ، بحيث أن كل ضيعة من ضياعها كانت تنتج ألف كُرّ [٦١] من الحنطة والشعير . ويشير ان حوقل الى أنها اشتهرت بانتاج النبيذ الذي يدر موارد على الدولة تعادل ما كانت تدره الواردات الزراعية ، وضرائب الخمرة هي التي كانت تدعى بأموال اللطف[٦٢]. واشتهرت منطقة الخابور بكثرة الغلات والفواكه اليابسة والرطبة ، على حين أنتجت منطقة الموصل كميات هائلة من الحنطة والشعير ، حتى بلغ معدلها ستة آلاف كُرّ حنطة وشعيراً ، قيمتها من الوَرِق[٦٣] ثلاثة آلاف ألف درهم ومن الحبوب وغيرها ما قيمته من الورق مائة وخمسون ألف درهم [٦٤] (عشرة آلاف دينار ) .

وكانت الموصل محاطة بمناطق زراعية خصبة للغاية ، ولها كور ورساتيق كثيرة [٦٥] ، تحيط بها البساتين ذات الأثمار والفواكه والخضروات المختلفة، ولعل فستق الموصل من أشهر أنواع الفستق في العالم كله ، ونواحي الموصل الممتدة على ضفتي دجلة شمالا وجنوبا كانت جنات يانعة وحقولا خصبة .

(٥٩) كور : (ج) كورة ، وهي البقعة التي يجتمع فيها قرى ومحال .
(٦٠) الكراع : الدواب .
(٦١) الكر : كيل ، وهو ستون قفيزاً ، والقفيز ثمانية . مكاكيك ، والمكوك صاع ونصف الصاع ، انظر المصباح المنير ( ٧٢٧/٢ ) .
(٦٢) اللطف : الهدية ، انظر صورة الارض ( ١٩٦ ) حول ما ورد عن ذلك المورد.
(٦٣) الورق : المال من الدراهم ، انظر المصباح المنير (٩٠٣/٧) .
(٦٤) صورة الارض ( ١٩٧ ) .
(٦٥) صورة الارض (١٩٦) وانظر الاعلاق النفيسة (١٠٦) .

واشتهرت باعشيقا من نواحي الموصل بحقولها المثمرة بالزيتون والنخيل والنارنج التي ترويها عدة جداول [٦٦] وكانت المدينة محاطة ببساتين كثيرة وسهول فسيحة واشتهرت هي وبلد بالطواحين التي كانت في وسط دجلة[٦٧]. وعُرفت نصيبين ببساتينها وكثرة أشجارها المثمرة ، وباتتاجها أفخر أنواع الأرز والقمح والشعير والكروم الرائعة الرخيصة جداً ، فضلا عن مراعيها التي كثرت فيها الاغنام والمواشي ، وبفضل جودة كرومها أنتجت أنواعاً من الشراب [٦٨] .

وكان يحيط بسنجار سهول فسيحة خصبة ومزارع تنتج الأثمار ، كالجوز واللوز والزيتون والاترنج والسمسم والرمان الكبير الذي يصدر حبه الكبير الى نواحي العراق والنواحي الأخرى فضلا عن وفرة النخيل في سنجار ، وهي ميزة امتازت بها على سائر نواحي الجزيرة ، عدا نواحي الفرات وهيت والأنبار [٦٩] ، كما اشتهرت سنجار بالتين الفاخر الذي يجفف ويصدر الى العراق وسورية . واشتهرت ماردين بالاضافة الى فواكهها وكرومها بجوهر الزجاج الذي كان يصدر الى سائر بلدان الجزيرة والعراق وبلاد الروم : « فيفضل على ما سواه بجوهرية فيه »[٧٠] . واشتهرت آمد بأحجار أرحيتها ، حتى كان الحجر الواحد الذي يستخدم للطحن بالعراق يساوي نحو خمسين دينارا [٧١]. وكانت جزيرة ابن عمر تُصدّر بالسفن الى الموصل العسل والسمن والمن والجبن والجوز واللوز والبندق والزبيب والتين[٧٢] .

---

(٦٦) صورة الارض (١٩٨) .
(٦٧) صورة الارض (١٩٨) .
(٦٨) صورة الارض (١٩٩) .
(٦٩) صورة الارض (١٩٩) .
(٧٠) صورة الارض (١٩٤) .
(٧١) صورة الارض (٢٠١) .
(٧٢) صورة الارض (٢٠٣) .

وكانت ضواحي بلد كثيرة الشجر والثمر والخَضَر والفواكه والكروم. واشتهرت أَذْرَمَة بكثرة غلاتها ، ودارا بوفرة خيراتها وخصبها ، حتى كان المأكل بالمجان لرخص ثمنها [٧٣] . واشتهرت كَفَرَ تُوثَا بكثرة أشجارها وأثمارها وزروعها وبساتينها [٧٤] ، واشتهرت رأس عين بالاضافة الى حاصلاتها الزراعية ومنتوجاتها الوفيرة من الفاكهة بالقطن الذي كان ينتج بمقادير كبيرة [٧٥] كذلك كانت حران من مراكز انتاج القطن بالاضافة الى كونها ذات شهرة ذائعة في صناعة الموازين الدقيقة [٧٦] .

ان اقليم الجزيرة اقليم خصب وفير الحاصلات عظيم الغلات كثير الخيرات، حتى قال فيه الاصمعي : « كانت قريش تسأل في الجاهلية عن خصب باعربايا وهي الموصل لقدرها عندهم ، فلم ينلهم في خصبها شيء قط ، وعن ريف الجزيرة وما يليها ، لانها تعدل في الخصب عندهم باعربايا » [٧٧] .

وقد تعددت الحاصلات الزراعية في هذا الاقليم ، كالقمح والشعير والأرز وأشجار الفواكه المتعددة الاصناف كالنخيل والنارنج والزيتون والكمثرى والكروم والسفرجل والرمان والتوت والتين وغيرها من صنوف القطن الذي زرع بوفرة في اقليم الجزيرة . وكانت زراعة التوت تستهدف تربية دود القز ، لانتاج الحرير الذي اشتهرت به الموصل ، كما اشتهرت باعشيقا ببيع البز [٧٩] .

(٧٣) صورة الارض (١٩٩) وانظر معجم البلدان (١/١٦٤ ـ ١٦٥) .
(٧٤) صورة الارض ( ١٩٩ ) .
(٧٥) صورة الارض (٢٠٠) .
(٧٦) المقدسي ( ١٤١ ) .
(٧٧) مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ( ١٣٥ ) .
(٧٨) صورة الارض ( ١٩٦ و ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٠٧ ) .
(٧٩) معجم البلدان ( ٢/٤١ ) .

وكان في باجرمى من نواحي الموصل جبل يسمى : ( شعران ) لكثرة اشجاره ، ويقال للشجر الشّعراء ، وهو جبل قنديل ، وهو من أعمر الجبال وفيه الكمثرى والعنب وأنواع الطير ، كما اشتهر بالاشجار الضخمة التي كانت تقطع جذوعها وترسل الى العراق[٨٠] ، وكانت هذه الاخشاب تنقل بالنهر بعد تنضيدها في أكلاك ، تحمل بالحنطة والشعير والأرز والمواد المتيسرة الاخرى، فاذا وصلت الى مستقرها بيعت الاخشاب وما تحمله من مواد تموينية ، فتستخدم الاخشاب في البناء وصناعة السفن والاثاث المنزلية والأبواب والشبابيك وغيرها .

واستخدم زيت الزيتون لصناعة الصابون ، وكانت مدينة الرقة معدن الصابون الجيد والزيتون[٨١] ، واشتهرت مراعي الجزيرة شهرة عريضة ، مما أدى الى كثرة الأغنام والمواشي والأبقار وكثرة ما تنتجه من جلود استغلت لصناعة الاحذية والسروج وغيرها من المصنوعات الجلدية ، فاختصت سنجار بالمهارة في صناعة الاحذية واشتهرت بكثرة اساكفتها[٨٢] ، كما اشتهرت الموصل بالسروج وعدد الخيل والبغال وغيرها من الحيوانات التي يستفاد منها لأغراض الحمل والتنقل .

وبجانب الثروة الزراعية الهائلة ، كانت منطقة الجزيرة منطقة مراعٍ شهيرة ، فاذا أصيبت الجزيرة العربية أو بعض أجزائها بالجدب ، تنقل العرب بمواشيهم الى مراعي الجزيرة الخصبة في سهولها وهضابها ووديانها الغزيرة الأمطار نسبياً. قال ابن حوقل عن نصيبين : «انها كثيرة السائمة والكراع»[٨٣]،

---

(٨٠) مختصر كتاب البلدان ( ١٣١ ـ ١٣٢ ) .
(٨١) مختصر كتاب البلدان ( ١٤١ ) .
(٨٢) مختصر كتاب البلدان ( ١٤٠ ) .
(٨٣) صورة الارض ( ١٩١ ) .

وعن الموصل : « انها اشتهرت بتربية الغنم والبقر [٨٤] » ، واشتهرت الجزيرة بالأفراس الجزرية [٨٥] ، واشتهرت حديثة الموصل بكثرة الصيود [٨٦] ، واشتهرت جزيرة ابن عمر بصناعة العسل والجبن والمن [٨٧] .

وكان بالرقة دُهْن الخَطَّارة [٨٨] : « وفيه أعجوبة ، وذلك أنه لا يُتخذ الا في حانوت بها معروف ، فان اتخذ في غيره من الحوانيت فسد ، وخاصته أنه نافع للرياح والنقرس » [٨٩] ، فهو اذن مرهم طبي شديد الفاعلية ويحتاج الى رعاية وعناية وحفظ في جو معين كي لا يفسد . وكانت الأعشاب الطبية معروفة لدى العطارين بخاصة والمتطببين بعامة ولها رواج عظيم ، وكان التداوي بالأعشاب الطبية شائعاً في مدن الجزيرة كالموصل وغيرها .

وكان يصدر الملح من الجزيرة الى العراق ، فقد اشتهرت براري الجزيرة بالملح والأُشْنَان [٩٠] اللذين يصدران الى العراق [٩١] ، كما هناك معدن الحديد الذي تصنع منه الاسلحة كالسيوف والخناجر ويدخل في المشاريع العمرانية وبخاصة في صناعة الشبابيك والابواب . أما الحجارة المتعددة الأصناف والكلس والجص ، فقد حفلت بها مدن الجزيرة وساعدت أن تشيد بها أبنية ملونة وصروح شامخة وقصور ودور وأسوار منيعة .

(٨٤) صورة الارض ( ١٩٣ ) .
(٨٥) مختصر كتاب البلدان ( ١٣٥ ) .
(٨٦) صورة الارض (١٩٨) .
(٨٧) صورة الارض ( ٢٠١ ) .
(٨٨) الخطارة : الخطار هو دهن يتخذ من الزيت بأفاويه من الطيب . ومسك خطار : نفاح .
(٨٩) مختصر كتاب البلدان (١٣٤) .
(٩٠) الاشنان : شجر من الفصيلة الرمرامية ينبت في الارض الرملية ، يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والايدي .
(٩١) صورة الارض (٢٠٥) .

ولابد من أن الثورة المعدنية في اقليم الجزيرة كانت وفيرة وان لم يستطع أبناء عصر قبل الاسلام أن يكتشفوها ويستغلوا منافعها الحيوية للناس . يقول ابن الفقيه : « ان الجبل الذي بآمد ، فيه صدع ، فمن انتضى سيفه فأولجه فيه وقبض على قبيعته بجميع يديه ، اضطرب السيف في يديه وأرعد القابض وان كان أشد الناس . وفيه أعجوبة أخرى ، أنه متى يحك بذلك الجبل سكين أو حديد أو سيف ، حملَ ذلك السيف والسكين الحديد ، وجذب الابر والمسال بأكثر من جذب المغناطيس . وفيه أعجوبة أخرى ، وهي أنه لو بقي مائة سنة لكانت تلك القوة قائمة فيه »(٩٢) ان هذه الخاصية الكهربائية والمغناطيسية كانت تدلّل على وجود ثروة معدنية كامنة في صخور جبل آمد لم يتح لذلك العصر الموغل في القِدم استغلالها كما ينبغي .

وهكذا يمكن القول : ان الجزيرة كانت اقليماً واسع الغنى وفير الثروة عظيم الانتاج في مجالات الثروة الزراعية والحيوانية والصناعية ، وهو ما يسوغ ويفسر الصراع العسكري الحاد الذي دار بين الدولتين العظميين قبل الاسلام : الساسانية والبيزنطية ، للاستئثار به وامتلاكه(٩٣) .

كما أن هذا الغِنى والرخاء في هذا الاقليم وخصوبة أرضه وغزارة مياهه وعذوبة طقسه واعتدال هوائه ، جعله محط أنظار العرب منذ أقدم العصور ، فسكنوه قبل قرون طويلة لا يمكن تحديدها قبل الاسلام ، وشجعهم على اللجوء الى رحابه في سني القحط في جزيرتهم العربية ، فمنهم من يعود الى

(٩٢) مختصر كتاب البلدان (١٣٣) .
(٩٣) انظر التفاصيل في : صورة الارض (١٨٧ ـ ٢٠٧ ) ومختصر كتاب البلدان ( ١٢٨ ـ ١٣٦ ) والمسالك والممالك لابن خرداذبه ( ٩٣ ـ ٩٨ ) وتقويم البلدان ( ٢٧٣ ـ ٢٨٩ ) والمسالك والممالك ( ٥٢ ـ ٥٥ ) وانظر بلدان الخلافة الشرقية ( ١١٤ ـ ١٤٦ ) والدول الحمدانية ( ١/١٩٢ ـ ١٩٩ ) .

دياره بعد أن يزول الجفاف ، ومنهم من يستقر في الجـزيرة ، وحملهم على الهجرة من الجزيرة العربية أيضاً تزايد السكان فيها أو من جراء الاقتتال بين القبائل العربية ، فينزح مَنْ يُهزم ، ويستقر مَنْ يَغْلِب ، فيجد المهزوم له ملجأً يأوى اليه في رحاب اقليم الجزيرة الغنى المعطاء •

لقد كان اقليم الجزيرة ينتج مختلف أنواع الحبوب التي تفيض على حاجة سكانه فيصدرها الى البلدان المجاورة ، وبخاصة العراق وبلاد الشام ، كما كان ينتج مختلف أنواع الاثمار والخُضَر •

كما كانت مراعي الجزيرة من أشهر وأخصب مراعي المنطقة كلها بما فيها العراق وبلاد الشام ، وكانت دائمة الخضرة غنية بالاعشـاب والكلأ ، يؤمها أصحاب المواشي من كل حدب وصوب عند جفاف مناطقهم الاصلية ، وبخاصة مناطق الجزيرة العربية التي كثيراً ما تصاب بالجدب والجفاف والقحط •

وكان هذا الاقليم غنياً بموارده الحيوانية : الأغنام ، والمواشي ، والأبقار، والخيل ، والبغال ، والحمير ، وتصدر الأغنام والأبقار بخاصة الى بلاد الشام•

وكانت تصدر الجبن والسمن الى العراق وبلاد الشام أيضاً ، وتصـدر الصابون الى العراق •

وكانت تصنع الملابس القطنية والحريرية والصوفية ، واشتهرت الموصل بأقمشتها الفاخرة ، كما صنعت الجزيرة السجاد والسيوف والخناجر والمدى والاسلحة الجارحة المصنعة من الحديد ، وتصدر الادوية المصنعة من الاعشاب الطبية والملح •

## تاريخ اقليم الجزيرة قبل الفتح الاسلامي
## وفي ايامه الأولى

حين استغل سكان الجزيرة طاقات أرضهم الخصبة الغنية وثرواتها لأنفسهم ، وسخروا طاقات بلادهم الطبيعية والبشرية لخير بلادهم ومصالحها، وسخروا طاقاتهم المعنوية بالاضافة الى طاقاتهم المادية للدفاع عن أرضهم وصيانة استقلالها ، حكموا بلادهم وحكموا البلاد المجاورة ، وسجلوا في صفحات التاريخ البشري صفحات ناصعة مشرفة عسكرياً وسياسياً وحضارياً ، كما ذكرنا ذلك في الحديث عن سكان الجزيرة ، وكان هذا في القرون التي سبقت الميلاد .

ولكنهم حين استسلموا للترف ، ومالوا الى الدعة ، واهتم كل فرد بنفسه وبما في حياته المادية من دعة واستقرار وثراء ، تكالبت عليهم الأمم ، فكانوا تارة تحت حكم الفرس ، وتارة تحت حكم اليونانيين ، وتارة تحت حكم الروم، وكان اقليم الجزيرة بعد الميلاد وقبل الاسلام يرزح تحت استعمار الساسانيين مرة ، وتحت استعمار البيزنطيين تارة أخرى .

وقبل الفتح الاسلامي مباشرةً ،كان اقليم الجزيرة تحت حكم البيزنطيين، فقد قاتل المسلمون الفاتحون في مدينة تكريت الرومَ ومن معهم من جيشهم المحلي المؤلف من العرب : اياد وتغلب والنمر والآراميين [٩٤] ، كما قاتلوا الروم وحلفاءهم في الموصل أيضا[٩٥] ، كما كانت سنجار في أيدي الروم[٩٦] ، وقد أراد بنو تغلب أن يلحقوا بأرض الروم بعد فتح شق الفرات الشامي : عانات

(٩٤) ابن الأثير ( ٢/٥٢٣ ) .
(٩٥) ابن الأثير ( ٢/٥٢٤ ) .
(٩٦) فتوح البلدان ( ٢٤٤ ) .

وسائر حصون الفرات [٩٧] ، فصولحوا بعد أن عبروا الفرات وأرادوا اللحاق بالروم [٩٨] ، ومعنى ذلك أن اقليم الجزيرة كان تحت حكم البيزنطيين قُبَيْل الفتح الاسلامي وفي أيامه •

ولا يهمنا كثيراً تاريخ الجزيرة قبل الميلاد ، فقد استوفاه المؤرخون في بحوث التاريخ القديم ، فليرجع الى ما استوفوه في المصادر والمراجع التاريخية من يريد •

أما بعد الميلاد ، فقد أصبح تاريخ الاقليم جزءاً من تاريخ الدولة الساسانية الذي استوفيناه في مقدمة كتاب : قادة فتح بلاد فارس[٩٩] ، فلا مجال لتكراره هنا ، اذ لا فائدة من الحديث المعاد ، ومن أراد دراسته فليطلع عليه في مكانه المذكور وفي مصادره الاخرى •

أما مجمل تاريخ البيزنطيين ، فسيرد ذكره وشيكا في الحديث على : بلاد الروم ، الذي ينشر بعد هذا البحث باذن الله ، لأن تاريخ اقليم الجزيرة أصبح جزءاً من تاريخ الدولة البيزنطية •

وهكذا أصبح تاريخ الجزيرة العريق قبل الميلاد ، تاريخاً يتصل بالحاكمين أكثر مما يتصل بالسكان الاصليين ، فأصبح تاريخاً غير عريق ، لأنه يتصل بالغرباء ويبتعد عن أهل الدار ، وتلك عبرة لمن يريد أن يعتبر •

## فتح الجزيرة

### ١ ـ الموقف العام :

فتح المسلمون الجزيرة سنة سبع عشرة الهجرية [١٠٠] (٦٣٨م) ، وكان

---

(٩٧) فتوح البلدان (٢٥٠) •
(٩٨) فتوح البلدان ( ٢٥١ ) •
(٩٩) قادة فتح بلاد فارس ( ٩ ــ ٨٠ ) •
(١٠٠) الطبري ( ٥٣/٤ ) وابن الأثير (٥٣٢/٢) •

سبب فتحها ، أن أهلها استثاروا الروم على أهل ( حِمْص ) ، فقصد الروم أبا عبيدة بن الجراح [١٠١] ومن معه من المسلمين بحمص ، وحاصروا المسلمين في هذه المدينة [١٠٢] .

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه خليفة المسلمين الثاني ، قد اتخذ في كل مصر من أمصار المسلمين خيولاً على قدره من فضول أموال المسلمين عُدّة لمعالجة المواقف العسكرية الطارئة ، كهجوم معادٍ غير متوقع على مواضع المسلمين ، أو تردي الموقف العسكري في جبهة من الجبهات الحيوية ، أو قيام المسلمين بالتعرض على العدو دفاعاً عن فتوحهم باعتبار أن الهجوم أنجع وسائل الدفاع . وكان بالكوفة من تلك الخيول الجاهزة أربعة آلاف فرس ، وكان المسؤول عليها سلمان بن ربيعة الباهلي [١٠٣] ونفر من أهل الكوفة . ولما سمع عمر بن الخطاب بزحف حشود الروم الى ( حِمْص ) ومحاصرتها بقوات متفوقة على قوات المسلمين ، كتب الى سعد بن أبي وقاص [١٠٤] رضي الله عنه في الكوفة : « أن اندب الناس مع القعقاع بن عمرو [١٠٥] ، وسرحهم من يومهم الذي يأتيك فيه كتابي الى حمص ، فان أبا عبيدة قد أحيط به ، وتقدم اليهم في الجد والحَثّ » . ولم يكتف عمر بن الخطاب بذلك ، بل كتب الى سعد ابن أبي وقاص : «سرّح سُهَيْل بن عَدِيّ [١٠٦] الى ( الرَّقّة ) ، فان أهل الجزيرة هم الذين استثاروا الروم على أهل حمص ، وأمره أن يُسرّح عبدالله

---

(١٠١) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح الشام ومصر (٥٤ ــ ٨١) .
(١٠٢) ابن الأثير ( ٥٣/٤ ) .
(١٠٣) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح ارمينية .
(١٠٤) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٢٤٨ ــ ٢٩٦) .
(١٠٥) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٣١ــ٣٥٥) .
(١٠٦) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٨٠ــ٤٨٥) .

ابن عتبان [١٠٧] على نصيبين ثم ليقصد حران والرها ، وأن يسرح الوليد بن عُقْبَة [١٠٨] على عرب الجزيرة من ربيعة وتَنُوْخ ، وأن يُسرِّح عِيَاض ابن غنم[١٠٩] ، فان كان قتال فأمرهم الى عياض » •

ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على أهل حمص ، وهم معهم في حصار تلك المدينة ، خبرُ المسلمين الذين قصدوا الجزيرة ، تفرقوا الى بلادهم وفارقوا الروم ، فأصبح الروم الذين يحاصرون حمص ضعفاء ، فقاتلهم أبو عبيدة بن الجراح وانتصر عليهم ، فانسحبوا الى بلادهم [١١٠] مدحورين •

ومن الواضح أن تفرق أهل الجزيرة الذين كانوا مع جيش الروم في حصار حمص وعودتهم الى ديارهم بسبب الدفاع عن بلادهم بعد أن هددها المسلمون الفاتحون ، لان الدفاع عن الوطن مقدم على الدفاع عن غير الوطن، فما كان بمقدور أهل الجزيرة ولا بمقدور غيرهم أن يصبروا على تعرض وطنهم للخطر وهم يقاتلون بعيداً عنه في بلاد غير بلادهم وفي أرض غير أرضهم ووطن غير وطنهم •

ولكن أهل الجزيرة استثاروا الروم على أهل حمص ، حين كان المسلمون قد اقتربوا بفتوحاتهم من اقليم الجزيرة، خوفا من اقدام المسلمين الفاتحين على فتح الجزيرة كما فتحوا العراق وبلاد الشام ، فاستثارتهم للروم لاستنقاذ حمص من المسلمين في الواقع هو دفاع مباشر عن بلادهم ، ومحاولة نقل مسرح العمليات الى خارج أرضهم ، قبل أن تصبح بلادهم مسرحاً لعمليات فتوح المسلمين •

---

(١٠٧) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٨٦-٤٩٢).
(١٠٨) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٩٣-٥١٤).
(١٠٩) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة (٤٦٩-٤٧٩).
(١١٠)الطبري ( ٤/٥١ - ٥٢ ) وابن الأثير ( ٣/٥٣١ ) .

ولم ينجح أهل الجزيرة في خطتهم السوقية في نقل مسرح العمليات بعيدا عن بلادهم ، لان عمر بن الخطاب بما عرف عنه من خطط سوقية سليمة ، أجبرهم على التخلي عن الروم في أحرج الاوقات ، فعادوا أدراجهم الى بلادهم للدفاع عنها ، وهكذا أخفقت خطة أهل الجزيرة في الدفاع عنها خارجها ، وأخفقت تنيجةً لذلك خطة الروم في حصار حمص واستنقاذها من المسلمين الفاتحين .

الا أن القول بأن عمر بن الخطاب خطط للتعرض باقليم الجزيرة وفتحه لصرف أهله عن معاونة الروم في حصار حمص واستعادتها الى سيطرة الروم ، كما كانت عليه قبل فتحها من المسلمين ، لا يُغنى عن كل قول ، فالواقع أن الروم الذين كانوا يحتلون الجزيرة ، يهددون تهديداً مباشراً الحدود الشمالية الغربية للعراق والحدود الشمالية الشرقية لبلاد الشام ما داموا في الجزيرة ، وحماية هذه الحدود لا يكون الا بفتح الجزيرة والقضاء على خطر الروم القادم من أرجائها .

ان استثارة أهل الجزيرة للروم على أهل حمص ثم كانوا مع الروم في حصارها ، هو السبب المباشر لفتح الجزيرة ، ولكنه ليس السبب المهم ، أما السبب غير المباشر فهو حماية الحدود الشمالية للعراق وبلاد الشام المتاخمة للروم ، وهو السبب المهم ، وقد يكون حصار حمص من الروم وأهل الجزيرة قد عجل في فتح الجزيرة ، اذ كان الفتح قادماً ولو بعد حين ، تبعاً للظروف والأحوال .

وانطلق قادة فتح الجزيرة الاولون الى أهدافهم المرسومة بموجب خطة واضحة : عياض بن غنم الفهري ، وسهيل بن عدي الخزرجي ، وعبدالله بن عتبان الانصاري ، والوليد بن عقبة بن أبي معيط الاموي القرشي ، وعمير

ابن سعد الانصاري [١١١] ، ففتحوا الجزيرة كلها على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، حتى لم يبق منها موضع قدم الا فُتح على عهده[١١٢].

وفي رواية : أن فتح الجزيرة كان سنة ثماني عشرة الهجرية [١١٣] لا سنة سبع عشرة الهجرية كما ذكرنا من قبل . وفي رواية أخرى : أن فتحها كان سنة تسع عشرة الهجرية [١١٤] .

وفتحها سنة سبع عشر الهجرية أصح ، لانه جاء لغرض تخفيف الضغط عن المحصورين بقيادة أبي عبيدة بن الجراح في حمص من زحف الروم عليهم وحصارهم داخل تلك المدينة، وكان هذا الحصار سنة سبع عشرة الهجرية[١١٥].

لقد كانت الجزيرة أسهل البلاد فتحا[١١٦] ، وكان لعامل المباغتة أثر واضح في الاسراع بفتح الجزيرة ، فقد هاجمهم المسلمون الفاتحون في وقت لا يتوقعونه ، اذ كانوا مدافعين في ساحة عمليات بلاد الشام ، وكانت المبادأة بيد الروم ، وكان الروم هم المحاصِرين ، وكان المسلمون هم المحاصَرين ؛ ولكن مهاجمة الجزيرة مباشرة ، قلب خطط المسلمين الدفاعية الى خطط تعرضية ، وباغت الروم وأهل الجزيرة بخطط المسلمين التعرضية وبسرعة تنفيذها ، فلم يبق أمامهم الا الانسحاب والاستسلام ، لان التعرض الاسلامي المباغتالسريع، أربك خطط المدافعين عن الجزيرة ، فاستسلمت الجزيرة بسرعة ويسر للفاتحين.

---

(١١١) انظر سيرته في كتاب : قادة فتح العراق والجزيرة ( ٥١٣ ـ ٥١٩ ) .
(١١٢) فتوح البلدان (٢٤٠) والاستيعاب (١٢٤٣/٣) .
(١١٣) فتوح البلدان (٢٣٧) .
(١١٤) الطبري (٥٣/٤) وابن الأثير (٥٣٣/٢) .
(١١٥) الطبري (٥٠/٤) وابن الأثير (٥٣٠/٢) .
(١١٦) الطبري (٥٤/٤) وابن الأثير (٥٣٢/٢) .

**٢ ـ فتح عِياض :**

لما قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص ، كتب أبو عبيدة الى عمر بن الخطاب بذلك ، فكتب عمر الى سعد بن وقاص أن يسرح عياض بن غنم ، على أن يكون عياض على المسلمين اذا نشب القتال •

وخرج عياض وأمراء الجزيرة ، فأخذوا طريق الجزيرة ، وتوجه كل أمير الى المنطقة التي أمر عليها ، فأرسل سهل بن عدى الى الرقة وقد ارفض أهل الجزيرة عن حمص الى كورهم حين سمعوا بقدوم أهل الكوفة الى بلادهم ، فنزل سهل على الرقة وحاصرها حتى صالحه أهلها ، فبعث بذلك الى عياض ، فقبل من أهل الرقة وصالحهم وصاروا ذمة •

وخرج عبدالله بن عتبان الى نصيبين ، فلقوه بالصلح وصنعوا كصنع أهل الرقة ، وكتبوا الى عياض ، فقبل منهم وعقد لهم •

ولما فتح المسلمون الرقة ونصيبين ، ضم عياض اليه سُهَيْلاً وعبدالله، وسار بالناس الى حران ، فلما وصل اليها أجابه أهلها الى الجزية ، فقبل منهم• ثم ان عياضاً سرح سُهيلاً وعبدالله الى الرُّها ، فأجابوهما الى الجزية ، فكانت الجزيرة أسهل البلاد فتحاً (١١٧) ، وكانت تلك السهولة مهجنة عليهم (١١٨) ، لانهم لم يدافعوا عن بلادهم كما ينبغي •

وكان نص كتاب عياض لأهل الرُّها :

**بسم الله الرحمن الرحيم**

« هذا كتاب من عياض بن غنم ومن معه من المسلمين لأهل الرُّها ، اني أمنتهم على دمائهم وأموالهم وذراريهم ونسائهم ومدينتهم وطواحينهم ، اذا

(١١٧) الطبري (٤/٥٤) وابن الأثير ( ٢/٥٣٢) .
(١١٨) الطبري ( ٤/٥٤) .

أدوا الحق الذي عليهم ، وأن يصلحوا جسورنا ، ويهـدوا ضالنا ، شهد الله وملائكته والمسلمون » .

وسار عياض الى سميساط ، فصالحه أهلها على مثل صلح أهل الرُّها . وكان عياض يغزو من الرُّها ثم يرجع اليها . وأتى عياض سروج ورأسكيفا[119] والارض البيضاء [120] فغلب على أرضها وصالح أهل حصونها على مثل صلح الرُّها . ثم ان سميساط كفروا ، فلما بلغه ذلك رجع اليهم فحاصرها حتى فتحها ثانية . وبلغه أن أهل الرُّها قـد نقضوا ، فلما أناخ عليهم فتحوا له أبـواب مدينتهم ، ففتحها ثانية وخلف عليها عامله في جماعة . ثم أتى قُرَيّات الفرات وهي جسر منبج وذواتها ، ففتحها على ذلك . وأتى عين الوردة وهي راس عين فامتنعت عليه ، فتركها . وأتى تل مَوْزَن [121] ففتحها على مثل صلح الرُّها. ووجه عياضُ حبيبَ بن مَسْلَمَة الفِهْرِي [122] الى قَرْقِيْسِيَاء ففتحها صلحاً على مثل صلح الرقة. وفتح عياض آمِد بغير قتال على مثل صلح الرُّها، وفتح ميافارقين على مثل ذلك ، وفتح حصن كَفَرتُوثا وفتح نصيبين بعـد قتال على مثل صلح الرُّها . وفتحُ طور عبدين [123] وحصن ماردين ودارا على مثل ذلك . وفتح قردى وبازبدى على مثل صلح نصيبين . وأتاه بطريق

---

(119) راسكيفا : أصلها : راس كيفا ، من ديـار مصر بالجزيرة قرب حران ، انظر معجم البلدان ( ٢٠٧/٤ ) .

(120) الارض البيضـاء : البيضاء عين ماء قريبة من بومارية بين الموصل وتـل يعفر . انظر معجم البلدان ( ٣٣٦/٢ ) .

(121) تل موزن : بلد قديم بين مدينى راس عين وسروج ، بينه وبين راس عين نحو عشرة أميال ، انظر معجم البلدان ( ٤٠٩/٢ ) .

(122) انظر سيرته المفصلة في كتابنا : قادة فتح بلاد الروم .

(123) طور عبدين : بليدة من أعمـال نصيبين في بطن الجبل المشرف عليهـا المتصل بجبل الجودي ، انظر معجم البلدان ( ٦٩/٦ ) .

الزوزان (١٢٤) ، فصالحه عن أرضه على اتاوة • ثم سار الى أرزن (١٢٥) ، ففتحها على مثل صلح نصيبين ، وكان عياض قد فتح سنجار أيضا •

ودخل ( الدرب ) (١٢٦) فبلغ بدليس وجازها الى خلاط وصالح بطريقها، وانتهى الى العين الحامضة من ارمينية فلم يعدها ، ثم عاد فضمن صاحب بدليس خراج خلاط وجماجمها وما على بطريقها ، ثم انصرف الى الرقة •

وبعث عمير بن سعد الانصاري بأمر عمر الى عين الوردة ، ففتحها عنوة، فلم يبق في الجزيرة موضع قدم الا فُتح في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه على يدي عياض (١٢٧) •

قال عياض في فتح الجزيرة :

مَنْ مُبلغ الأقوامِ أنّ جمـوعنـا
حَوَتِ الجزيرةَ يوم ذاتِ زِحامِ (١٢٨)
جَمعوا الجزيرةَ والغياثَ فنَفَّسُوا
عَمَّنْ بِحِمْصَ غَيَابَةَ القُـدّامِ
إنّ الأَعِزّةَ والأكارِمَ مَعْشَرٌ
فَضُّوا الجزيرة عن فِراخِ الهامِ (١٢٩)

(١٢٤) الزوزان : ناحية واسعة شرقي دجلة من جزيرة ابن عمر ، انظر معجم البلدان ( ٤/٤١٥ ) .
(١٢٥) أرزن : مدينة مشهورة قرب خلاط ، انظر معجم البلدان ( ١/١٩٠ ) .
(١٢٦) الدرب : الطريق الذي يسلك مابين طرسوس وبلاد الروم ، انظر معجم البلدان ( ٤/٤٨ ) .
(١٢٧) انظر التفاصيل في فتوح البلدان ( ٢٤٠ ــ ٢٤٣ ) ، وقد فتح نصيبين أولا عبدالله بن عتبان ، ويبدو أنها انتقضت ففتحها عياض ثانية .
(١٢٨) في معجم البلدان : رجام ، انظر معجم البلدان (٣/٩٨) .
(١٢٩) في معجم البلدان : فراج ، انظر معجم البلدان ( ٣/٩٨ ) .

غَلَبوا الملوكَ على الجزيرةِ فانْتَهَوْا

عن غزوِ مَنْ يأوى بلاَدَ الشّامِ (١٣٠)

وقد صدق عياض ، أن حالَ فتحُ الجزيرة دون غزو بلاد الشام ، وحمى المسلمين الفاتحين في بلاد الشام من غائلة الغزو الرومي .

وكان فتح عياض ، فتحاً سريعاً سهلاً ، قليل التكاليف المادية والمعنوية.

ولا نعلم بالضبط تعداد المسلمين الفاتحين الذين كانوا بامرة عياض وامرة قادته المرؤوسين ، الذين عملوا بقيادته في فتح الجزيرة ، وما ورد أن تعدادهم كان خمسة آلاف (١٣١) ، غير منطقي ، لانه قليل جدا .

### ٣ – فتح سُهَيْل :

خرج عياض بن غنم ومن معه من القادة ، فأرسل سُهَيْلاً الى الرقة ، فسلك طريق الفراض (١٣٢) حتى انتهى الى الرقة ، فحاصرها حتى صالحه أهلها، وبعثوا بذلك الى عياض ، فقبل منهم وصالحهم وصاروا ذمة .

ولما فتح المسلمون الرقة ونصيبين ضم عياض اليه سهيلاً وعبدالله بن عتبان وسار بالناس الى حران ، فلما انتهى اليها اتقاه أهلها بالاجابة الى الجزية فقبل منهم ، وأجرى مَنْ أجاب بعد غَلَبِهِ مُجْرى أهل الذمة .

ثم ان عياضاً سرح سُهيلاً وعبدالله الى الرُّهاء ، فاتقوهما بالاجابة الى الجزية أيضاً (١٣٣) .

(١٣٠) الطبري (٤/٥٤ – ٥٥) ومعجم البلدان (٣/٩٨) .
(١٣١) فتوح البلدان (٢٣٧) .
(١٣٢) الفراض : موضع على تخوم الشام والعراق والجزيرة ، في شرقي الفرات ، انظر التفاصيل في معجم البلدان (٦/٣٥٠) .
(١٣٣) الطبري (٢/٥٤) وابن الاثير (٢/٥٣٢) .

وهكذا كان سهيل الساعد الايمن لعياض في فتح الجزيرة بسرعة ويسر وسهولة .

٤ ـ فتح عبدالله بن عِتْبَان :

كان مجمل خطة عمر بن الخطاب التي أصدرها لسعد بن أبي وقاص ، أن يسرح سهيل بن عدى الى الرقة ، وأن يسرح عبدالله بن عتبان الى نصيبين، فسلك عبدالله الطريق المحاذية الى مدينة الموصل ، وعبر من هناك حتى وصل الى نصيبين ، فصالحه أهلها ، وعقد لهم عبدالله (١٣٤) .

ولما أعطى أهل الرقة الصلح لسهيل بن عدى وأهل نصيبين الصلح لعبدالله، ضمّ عياض بن غنم اليه سهيلاً وعبدالله وسار بالناس الى حران وأخذ ما دونها ، وعندما انتهى اليها أجابه أهلها الى الجزية ، فسرح سهيلاً وعبدالله الى الرّها ، فأجابهما أهلها الى الجزية أيضا (١٣٥) .

وعاد عبدالله الى الكوفة بعد انتهاء واجبه في فتح الجزيرة .

٥ ـ فتح الوليد بن عُقْبَة :

كان الوليد بن عقبة بن أبى معيط الأموي في العراق حين قصد الرّوم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بحمص ، فأمر عمر بن الخطاب سعدَ بن أبي وقاص أن يسرح القادة الذين ذكرناهم لفتح الجزيرة ويسرح الوليد بن عقبة على عرب الجزيرة من ربيعة وتنوخ .

وقدم الوليد على عرب الجزيرة ، فنهض معه مسلمهم وكافرهم الا بنى اياد بن نزار (١٣٦) ، فانهم ارتحلوا الى أرض الروم (١٣٧) .

---

(١٣٤) الطبري ( ٤/٥٤ ) وابن الأثير (٢/٥٣٢) .
(١٣٥) الطبري ( ٤/٥٢) وابن الأثير (٢/٥٣٢) .
(١٣٦) اياد بن نزار بن معد بن عدنان ، انظر جمهرة انساب العرب (١٠) .
(١٣٧) الطبري ( ٤/٥٤ ) وابن الأثير (٢/٥٣٢) .

وكتب الوليد الى عمر بن الخطاب بالمدينة يخبره بما صنعوا ، وأقام ينتظر جوابه في أمرهم .

وكتب عمر الى هِرقل ملك الروم يقول : « بلغني أن حياً من أحياء العرب ترك دارنا وأتى دارك ! فوالله لتخرجنه الينا أو لنخرجن النصارى اليك » ، فلم يجد هرقل بُدأ من النزول على ما أراد عمر ، فأخرج اياداً من بلاده ، فعاد أربعة آلاف منهم الى منازلهم التي فتحها المسلمون ، وتفرق بقيتهم فيما يلي الشام والجزيرة من بلاد الروم ، فكل ايادي في أرض العرب من أولئك الاربعة آلاف (١٣٨) . وانما كتب عمر الى هرقل هذا الكتاب ، حتى لا يتخذ المنهزمون أمام المسلمين أرض عدوهم ملجأً يتحصنون به ليوم ثأر ، وحتى يجمع العرب كلهم في صعيد واحد تحت سلطان واحد (١٣٩) .

وأبى الوليد أن يقبل من تغلب الا الاسلام ، وكتب بذلك الى عمر بن الخطاب ، فكتب اليه عمر : « انما ذلك لجزيرة العرب ، لا يقبل منهم الا الاسلام ، فدعهم على الا ينصّروا وليداً ولا يمنعوا أحداً منهم من الاسلام » ، فلما بلغهم حكم عمر فيهم رضى بعضهم أن يدخل في دين الله ، وأصر بعضهم على نصرانيته ، ثم لم يقبل هؤلاء أن يكونوا أهل ذمة يؤدون الجزية (١٤٠) .

وقصد وفد من تغلب المدينة المنورة ، وكان بينهم قسم ممن أسلم منهم، فقال مسلموهم لعمر : « لا تنفروهم بالخراج فيذهبوا ، ولكن ضعفوا عليهم الصدقة التي تأخذونها من أموالهم ، فيكون جزاء ، فانهم يغضبون من ذكر الجزية ، على ألا ينصّروا مولودا اذا أسلم آباؤهم » . وأصر عمر على أن

---

(١٣٨) الطبري ( ٤/٥٥ ) وابن الأثير (٢/٥٣٣) .
(١٣٩) الفاروق عمر للدكتور هيكل ( ١/٢٦٩ ) .
(١٤٠) الطبري ( ٤/٥٥ ) وابن الأثير ( ٢/٥٣٣ ) .

يؤدوا الجزاء ، فقالوا : « والله لئن وضعت علينا الجزاء ، لندخلن أرض الروم! والله لتفضحنا من بين العرب » ، فقال لهم : « أنتم فضحتم أنفسكم وخالفتم أمتكم فيمن خالف وافتضح من عرب الضاحيــة ، وتا لله لتؤدنه وأنتم صغرة قماة ، ولئن هربتم الى الروم لأكتبن فيكم ولأسبينكم » ، فقالوا : « فخذ منا شيئاً ولا تسمّه جِزاء !! » ، فقال : « أما نحن فنسميه جِزاء ، وسموه أنتم ما شئتم ! » ، فقال علي بن أبي طالب لعمر رضي الله عنهما : « يا أمير المؤمنين ! ألم يضعف عليهم سعد بن مالك [١٤١] الصدقة ؟ » ، فقـال عمر : « بلى ! » ، فرضى عمر منهم الصدقة بدل الجِزاء ، فرجعـوا على ذلك • وكان في بنى تغلب عز وامتناع ، ولا يزالون ينازعون الوليـد ، فهمّ بهم ، فخاف عمر أن يُحرجوه فيضعف صبره فيسطو عليهم ، فعزله عن الجزيرة [١٤٢] كيما يطمئن الى توطيد العلاقة الحسنة بين الحاكم والمحكوم ويضمن أمن واستقرار الجزيرة، ويجنبها القلاقل والفتن دون مسوغ ، لذلك عزله عمر وولى من يحقق له هذه السياسة الحصيفة •

## ٦ ــ فتح عُمَيْر بن سَعْد :

كتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى عياض بن غنم يأمره أن يوجـه عُمير بن سعد الى (عين الوردة) [١٤٣] ، فوجهه عياض اليها وقدم الطلائـع أمامه ، فأما من الفلاحين وغنموا مواشي من مواشي العدو ، ولكن أهل المدينة أغلقوا أبوابها ونصبوا المنجنيقات ، فقتل من المسلمين بالحجـارة والسهـام كثيرون •

---

(١٤١) هو سعد بن أبي وقاص فاتح العراق .
(١٤٢) الطبري (٥٦/٤) وانظر فتوح البلدان ( ٢٤٩ ــ ٢٥٢ ) .
(١٤٣) عين الوردة : هي مدينة راس عين ، المدينة المشـهورة بالجزيرة ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٥٨/٦ ) .

وكانت مدينة عين الوردة (رأس عين) قد امتنعت على عياض بن غنم من قبل ، ففتحها عُمير بن سعد والى عمر بن الخطاب على الجزيرة بعد أن قاتل أهل هذه المدينة المسلمين قتالا شديدا ، ولكن المسلمين فتحوها عنوة ، ثم صالحوا أهلها بعد ذلك ، فدفعت الأرض الى أهلها الأصليين ، ووضعت الجزية على كل فرد من أفراد المدينة أربعة دنانير، ولم تُسب نساؤهم ولا أولادهم[١٤٤].

ولما فتح عمير مدينة رأس عين ، سلك الخابور وما يليه حتى أتى قرقيسياء وقد نقض أهلها ، فصالحهم على مثل صلحهم الاول . ثم أتى حصون الفرات حصنا حصنا ، ففتحها على ما فُتحت عليه قرقيسياء ، ففتح ثانية عانات والناووسة وآلوسة . وفي مدينة هيت وجد عمار بن ياسر [١٤٥] وهو عامل عمر بن الخطاب على الكوفة ، وقد بعث جيشا يستغزي المنطقة الكائنة شمالي مدينة الانبار وعليه سعد بن عمرو بن حرام الانصاري [١٤٦] ، فانصرف عُمير الى الرقة [١٤٧] .

وكتب عُمير الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يعلمه أنه أتى شق الفرات الشامي ، ففتح عانات وسائر حصون الفرات ، وأنه أراد من هناك من بني تغلب على الاسلام ، فأبوه وهموا باللحاق بأرض الروم ، وسألوه أن يأذن لهم في الجلاء ، واستطلع رأي عمر فيهم ، فكتب اليه عمر يأمره أن يضعف عليهم الصدقة التي تؤخذ من المسلمين في كل ساحة وأرض ، فقبلوا

---

(١٤٤) فتوح البلدان ( ٢٤٢ ــ ٢٤٣ ) وانظر ابن الأثير (٥٣٥/٢) .

(١٤٥) عمار بن ياسر : انظر سيرته في : الاستيعاب (١١٣٥/٣) واسد الغابة ( ٣/٤ ) والاصابة ( ٢٧٣/٤ ) .

(١٤٦) سعد بن عمرو بن حرام الانصاري : انظر سيرته في : أسد الغابة ( ٢٨٨/٢ ) .

(١٤٧) فتوح البلدان ( ٢٤٦ ) .

أن يؤخذ منهم ضعف الصدقة ، فقالوا : «أما اذا لم تكن جزية ، فانّا نرضى ونحفظ ديننا» (١٤٨) .

## ٧ ـ مجمل الفتح :

لم يبق بالجزيرة موضع قدم الا فتح على عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه على يدي عياض بن غنم(١٤٩) ، كما ذكرنا ذلك في قصة فتح هذا الاقليم ، وبمعاونة قادته المرؤوسين تحقق هذا الفتح .

وقد جرى مجمل الفتح أو الفتح الاول لهذا الاقليم سنة سبع عشرة الهجرية (١٥٠) (٦٣٨م) ، وقد ذكر قسم من المؤرخين أن فتحها كان سنة ثماني عشرة الهجرية (١٥١) (٦٣٩م) ، وذكر قسم منهم أن فتحها كان سنة تسع عشرة الهجرية (١٥٢) (٦٤٠م) ، وأيام من المحرم سنة عشرين الهجرية (١٥٣) .

ان الفتح الاول وهو الفتح الرئيس للجزيرة جرى سنة سبع عشرة الهجرية ، وجرت بعض معارك استثمار الفوز ، وهي معارك تعبوية لتطهير جيوب المقاومة الجزرية سنة ثماني عشرة الهجرية ، أما سنة تسع عشرة الجهرية وسنة عشرين الهجرية فجرت بعض معارك استعادة فتح البلاد الجزرية المنتقضة وفتح بعض المواقع الثانوية في الجزيرة ، واستمرت هذه المعارك الى أوائل سنة عشرين الهجرية (١٥٤) ، فلا تناقض بين المؤرخين في النص على سنة الفتح،

---

(١٤٨) فتوح البلدان (٢٥٠) ، ونص عبارتهم : « أما اذا لم تكن جزية كجزية الاعلاج ، فانا نرضى ونحفظ ديننا » .
(١٤٩) فتوح البلدان ( ٢٤٠ ) .
(١٥٠) الطبري ( ٣٥/٤ ) وابن الأثير ( ٥٢٣/٢ ) .
(١٥١) فتوح البلدان ( ٢٣٧ ) .
(١٥٢) الطبري ( ٥٣/٤ ) وابن الأثير ( ٥٣٣/٢ ) .
(١٥٣) فتوح البلدان ( ٢٤٢ ) .
(١٥٤) فتوح البلدان ( ٢٤١ ـ ٢٤٢ ) .

لأن عمليات الفتح الاول كانت سنة سبع عشرة ، وعمليات التطهير ومقاتلة المنتقضين جرت سنتي ثماني عشرة الهجرية وتسع عشرة الهجرية وأوائل سنة عشرين الهجرية .

ولم يبق الروم مكتوفي الايدي بعد خسارتهم الجزيرة ، فكانوا يهاجمون مدنها بين حين وآخر ، حين يجدون القوة فيهم والضعف في المسلمين لتفرقهم ، فاذا عادت الوحدة للمسلمين ، استعادوا فتح المناطق التي خسروها ، وتعرضوا ببلاد الروم الأصلية وضموا أجزاء منها بين حين وآخر الى الدولة الاسلامية .

وقد كان للصوائف نشاط ملحوظ في عهد بني أمية خاصة ، حيث كان لها نشاط كبير في الجزيرة وبلاد الروم أيضا ، مما سنذكره مفصلا في كتاب : قادة فتح بلاد الروم .

ولم يكن نشاط تلك الصوائف فتحا بالمعنى الصحيح ، بل كان استعادة للفتح ، أو للدفاع عن الجزيرة تجاه الروم ، وذلك بالتعرض ببلاد الروم والاستيلاء على جزء منها ، واشغال جيش الروم بالدفاع عن بلاد الروم الأصلية عن الطموح في استعادة الجزيرة أو جزء منها ، لهذا آثرت ألا أتطرق الى تفاصيل المعارك ، لانها لاتضيف فتحا جديدا في الجزيرة ، كما خشيت التطويل والتكرار دون مسوغ .

أما فتح تكريت فقد كان على يدي عبدالله بن المعتم العبسي [١٥٥] ، وكان فتح الموصل على يدي ربعي بن الافكل العنزي[١٥٦] . وتناولت هذا الفتح في كتاب قادة فتح العراق والجزيرة ، وجرى الفتح سنة ست عشرة الهجرية [١٥٧]

(١٥٥) انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٧٥ ــ ٣٨١) .
(١٥٦) انظر سيرته المفصلة في : قادة فتح العراق والجزيرة (٣٨٣ ــ ٣٨٦) .
(١٥٧) الطبري (٤/٥٤) وابن الأثير (٢/٥٣٢) .

(٦٣٧م) ، وقد كان فتح تكريت والموصل من فتوح أهل العراق دون منازع •

أما سائر الجزيرة ، فمن فتوح أهل العراق في رواية ، ومن فتوح أهل الشام في رواية ثانية [١٥٨] ، والذي يبدو أن سعد بن وقاص هو الذي جيّش الجيوش وبعث القادة لفتح الجزيرة كما ذكرنا ، فذهب أهل العراق بفخر فتح الجزيرة الاول سنة سبع عشرة الهجرية ، فكتب أبو عبيدة بن الجراح الذي كان على بلاد الشام الى عمر بن الخطاب يسأله أن يضم اليه عياض بن غنم ، فصرفه اليه [١٥٩] • ومعنى ذلك أنه كان قبل هذا بامرة سعد بن أبي وقاص في أهل العراق ، فصرفه عمر الى أبي عبيدة حسب طلبه بعد فتح الجزيرة الاول•

وصرف عمر بن الخطاب بعد استكمال فتح الجزيرة سُهيل بن عدي وعبدالله بن عتبان الى الكوفة ليصرفهما سعد بن أبي وقاص الى المشرق [١٦٠] ، وهذا دليل على أنهما جاءا من العراق وعادا اليه بعد انجاز واجبهما في الفتح •

وقد أمد عمر بن الخطاب عياض بن غنم بحبيب بن مسلمة ، فقدم على عياض مددا [١٦١] ، وكان رجاله من أهل الشام ، فوجهه عياض الى قرقيسياء ففتحها صلحا على مثل صلح الرقة ، وهذا يدل على أن أهل الشام شاركوا قليلا بفتح الجزيرة الأول •

أما استعادة الفتح في ميدان الجزيرة ، وبخاصة في عهد بني أمية ، فقد كان من حظ أهل الشام ، كما كان استعادة الفتح في هذا الميدان على عهد بني العباس حتى خلافة المعتصم من حظ أهل العراق •

---

(١٥٨) ابن الاثير (٢/٥٣٣ - ٥٣٤) .
(١٥٩) الطبري (٤/٥٥) .
(١٦٠) الطبري (٤/٥٥) .
(١٦١) الطبري (٤/٥٥) .

لقد كان فتح الجزيرة الاول عراقيا كله الا قليلا ، وكان استعادة فتحها عراقيا شاميا ، فهو جهاد مشترك ،لتحقيق هدف مشترك •

وأكبر الظن أن المسلمين الفاتحين لم يكن لهم أي نشاط في اقتناص مفاخر الفتوح ، فقد شغلوا بالفتح وأعبائه ، فلم يبق لهم وقت للمراء ، لأن أعمالهم كانت تغني عن الأقوال • ومضى عصر الفتح واستعادة الفتح ، ومضى الفاتحون الى جوار ربهم غير ملومين ، وجاء من بعدهم أعقابهم فورثوا الفتح ومفاخره دون جهد ، فكان المراء بينهم في نسبة مفاخر الفتح الى أقطارهم أو الى بلدانهم أو الى قبائلهم ، اذ لم يترك لهم الفاتحون ما يفعلون ، فلابد لهم من ترديد ما يقولون ، وهكذا اختلفوا في نسبة الفتح الى أجدادهم ، ولكن التاريخ خير من يفصل بالحق في مثل هذا الاختلاف •

أما ما يبدو من تناقض وقع فيه المؤرخون القدامى في توقيت الفتوح وفي أسماء القادة الفاتحين ، فسبب التناقض في التوقيت هو أن قسما منهم يذكرون سنة الفتح الاول ، وقسما منهم يذكرون سنة عمليات استثمار الفوز وهي عمليات تطهير جيوب المقاومة ، وقسما منهم يذكرون سنة أو سني استعادة الفتح بعد انتقاض المنطقة المفتوحة أو استردادها من العدو ، ونتيجة لذلك يتناقضون في أسماء القادة الفاتحين ، لأن الفاتح الاول قد لايقوم بعمليات استثمار الفوز ، وقد يكون الذي يستعيد الفتح قائدا ثالثا ، والمهم بالنسبة للمؤرخين المحدثين هو تتبع مجرى الحوادث وسير العمليات العسكرية في المصادر العربية الاسلامية المعتمدة ، والحذر من المراجع غير المعتمدة وبخاصة الأجنبية منها ، فليس سرا أن بعضها لايخلو من دس مريب وتشكيك متعمد ، والمفروض أن يصحح المؤرخون العرب والمسلمون ذلك الدس والتشكيك ، الذي قد يكون عن جهل أو سوء فهم أو مقصد مشبوه ، لا أن ينقلوه نقلا ، ليسمموا به عقول التلاميذ والطلاب والدارسين والقراء •

## عبرة الفتــح

كان الخليفة الثاني من الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب يتميز بعقليــة سَوقية فذة ، كما أثبت ذلك في خططه السَوقية التي وضعها في فتوح العراق والشام والجزيرة ومصر وشمالي افريقية وفارس ، فكان عهد عمر عهدا ذهبيــا للفتح الاسلامي العظيم •

وبصفته القائد الاعلى لجيوش المسلمين ، فانه كان يضع القواعد العامة للحملة كلها منذ بدايتها ، ويعهد بتنفيذها الى قائد ذي خبرة وأمانة وكفاية ، ولا يتخلى عن تبعته العظمى في مصائر الحرب كل التخلي اعتمادا على القائد وحده ، اذ ليس القائد مسؤولا وحده عن مصير القوات المقاتلة التي بقيادته • فاذا رأى القائد العام رأيا وخالفه هو في رأيه ، أعانه بالمدد والمشورة على الأخذ بالرأي الذي دعاه اليه ، وأبطل معاذيره بتوضيح الأمر واعانته عليه•

انه يضع لقادته الخطط السَوقية ، ويترك لقادته أمر وضع الخطط التعبوية فكان قائدا سَوقيا ، يُعِد الخطط السوقية ، ويصدر أوامره ووصاياه الى قادته العامين وقادته المرؤوسين ، مبينا لهم السياسة العامة للحرب ، ثم يــترك لهؤلاء القادة تحمل أعباء كل التفاصيل التنفيذية •

في سنة سبع عشرة الهجرية ، قصد الروم أبا عبيدة بن الجراح ومن معه من المسلمين بمدينة حمص ، فقد أرسل أهل الجزيرة الى ملك الروم هرقــل يحثونه على ارسال الجنود الى الشام ، ويذكرون له أنهم سيعاونونه • وحــين علم المسلمون باجتماع الروم وأهل الجزيرة على حربهم ، سحب أبو عبيدة مسالحه المتقدمة من مواضعها وعسكر بفناء مدينة حمص • وأقبل خالد بــن

الوليد من قنسرين [١٦٢] اليهم ، فاستشار أبو عبيدة خالدا وغيره من المسلمين في المناجزة أو التحصين الى مجيء الغياث ، فأشار خالد بالمناجزة ، وأشار غيره بالتحصين ومكاتبة عمر ، فأطاع أبو عبيدة الذين رأوا التحصين ، وكتب الى عمر بذلك .

وكان بالكوفة ـ كما ذكرنا ـ أربعة آلاف فرس ، وكان في كل مصر من أمصار المسلمين الثمانية في حينه أفراس على قدره ، فان تأتها آتية ركبها الناس وساروا الى أن يتجهز الناس الآخرون ، فهي الاحتياط العام السيار لجيوش المسلمين المحاربة في الخطوط الأمامية [١٦٣] .

وكان مجمل خطة عمر السَوقية هي : تحريك الاحتياطي العام السيار من الكوفة بقيادة القعقاع بن عمرو التميمي (فورا) الى حمص لاستنقاذ أبى عبيدة ومن معه من المسلمين المحاصرين فيها من الروم وأهل الجزيرة ، وحماية حمص من القوات المعادية بخاصة وبلاد الشام بعامة . ثم تحريك قوات من المسلمين بقيادة عياض بن غنم لفتح الجزيرة ، لغرض اجبار أهل الجزيرة على الانسحاب من مواضعهم التي تحاصر حمص الى بلادهم الجزيرة للدفاع عنها ، وبذلك يخفف الضغط عن المسلمين المحاصَرين في حمص ، فيصبح أمر الروم المحاصِرين لحمص وحدهم على المسلمين هيِّنا .

ولما بلغ أهل الجزيرة الذين أعانوا الروم على حصار حمص خبرُ الجنود الاسلامية ، تفرقوا الى بلادهم وفارقوا الروم . عند ذاك استشار أبو عبيدة

(١٦٢) قنسرين : مدينة تقع في ديار ربيعة ، منها الى حلب مرحلة صغيرة . ومنها الى معرة النعمان مرحلة كبيرة ، انظر تقويم البلدان (٢٦٦-٢٦٧) ومعجم البلدان ( ١٦٨/٧ ) والمسالك والممالك لابن خرداذبة (٧٥) وأحسن التقاسيم (١٥٤) ومختصر كتاب البلدان لابن الفقيه (١١١) .

(١٦٣) انظر التفاصيل في الطبري (٤/ ٥٠ ـ ٥١) وابن الأثير (٢/ ٥٣٠ ـ ٥٣١) .

خالدا في الخروج الى الروم ، فخرج اليهم وقاتلهم وانتصر عليهم . وقدم القعقاع بن عمرو بعد الوقعة بثلاثة أيام ، فكتب أبو عبيدة الى عمر بالفتح وبقدوم المدد عليهم والحكم في ذلك ، فكتب اليه : « أشركوهم ، فانهم نفروا اليكم وانفرق لهم عدوكم » ، وقال : «جزى الله أهل الكوفة خيرا ، يكفون حوزتهم ، ويمدون أهل الأمصار » (١٦٤) .

وأول ما نلاحظه في خطة عمر السَوقية هذه ، أنه كان أعد في مختلف الأمصار خيولا للطوارىء ، تتحرك بانذار قصير الى الأماكن المهددة بالخطر من دار الاسلام . وقد حمى عمر بعض المراعي لتلك الخيول ، فحمى ( الربذة )(١٦٥) ـ مثلا ـ لخيول المسلمين (١٦٦) ، وكان عنده خيل موسومة على أفخاذها : حبيس في سبيل الله (١٦٧) ، يحمل عليها المجاهدين ، وتتحرك الى أهدافها المرسومة ، اذ تحرك القعقاع من يومه باتجاه حمص »(١٦٨) .

ونلاحظ ثانيا ، أن عمر أمر بمشاغلة قوات الروم بحمص بعد أن حرم الروم من معاونة أهل الجزيرة الأقوياء الأشداء لهم ، وذلك بمهاجمة أهل الجزيرة في عقر دارهم .

ونلاحظ ثالثا ، أن الامدادات تحركت بسرعة خاطفة من العراق والشام والحجاز الى حمص لضرب الروم وحلفائهم في حمص ، مما جعل التفوق بالعدد الى جانب المسلمين .

---

(١٦٤) الطبري ( ٥١/٤ ـ ٥٢ ) وابن الأثير ( ٥٣١/٢ ) .
(١٦٥) الربذة : من قرى المدينة على ثلاثة اميال منها على طريق ذات عرق ، انظر التفاصيل في معجم البلدان ( ٢٢١/٤ ) .
(١٦٦) ابن الأثير ( ٥٣٠/٢ ) .
(١٦٧) طبقات ابن سعد (٣٠٦/٣) .
(١٦٨) الطبري ( ٥١/٤ ) .

ونلاحظ رابعا ، أن هذه الاجراءات السريعة الحاسمة ، أمنت عنصر المباغتة ، فباغت المسلمون الروم وحلفاءهم ، فانتقلت المبادرة من الروم الى المسلمين ، وأدى ذلك الى ارتباك خطط الروم وحلفائهم والى رفع معنويات المسلمين وتحطيم معنويات أعدائهم ، مما أدى الى انتصار المسلمين وهزيمة الروم •

ان حركة أربعة آلاف فارس في يوم واحد الى هدف بعيد ليس سهلا•• انه يكاد يكون مستحيلا حتى في هذه الايام ، وهذا مايدعو الى الاعجاب بهذا الانجاز العسكري الاسلامي قبل أربعة عشر قرنا خلت من عمر الزمن ، وهو عمر جد طويل ، وهو يدلنا على ما بلغته العسكرية العربية الاسلامية حينذاك من دقة في التنظيم ومتانة في الضبط ، وهذا هو بعض الجواب على تساؤل المؤرخين قديماً وحديثاً : كيف تم الفتح الاسلامي بهذه السرعة التي تم بها ؟ وتوخى مبدأ المباغتة ، ورفع المعنويات ، والاحتفاظ بالمبادأة ، كل ذلك بموجب خطة سوقية تقلب الهزيمة الى نصر ، وتغير الموقف العسكري الى أحسن حال • وتغير الموقف العسكري الى أحسن حال •

وما كان لمثل هذه الخطة السوقية العمرية أن يكتب لها النجاح ، لو لم يكن عمر قد أعد الاحتياط العام السيار في الأمصار الاسلامية على امتداد دار الاسلام ، وأعد لها القادة المناسبين للواجبات المناسبة •

والعبرة هنا ، في أهمية وجود الاحتياط العام السيار القادر ، بقيادة قادرة متميزة ، لمعالجة الأمور الطارئة التي ليست في الحسبان •

والقائد الذي ليست لديه قوات احتياطية ، يجازف بمستقبله قائدا ، وبمصير جيشه وأمته ، ويقود رجاله الى الهزيمة •

والعبرة التالية هي ، حرص عمر بن الخطاب على بقاء العرب في مواطنهم

وتحاشي الهجرة منها الى الروم ، لأن العرب مادة الاسلام ، والمحافظة عليهم وحشدهم في بلادهم قوة للاسلام والمسلمين •

وحتى في حالة اختلاف عرب الجزيرة عن العرب الفاتحين في العقيدة ، فقد كانوا أقرب الى العرب المسلمين القادمين من صحراء جزيرة العرب وحواضرها من الروم •

وكمثال على ذلك في فتح مدينة تكريت ، فقد حصر عبدالله بن المعتم الروم وحلفاءهم أربعين يوما ، وتزاحفوا أربعة وعشرين زحفا • وأرسل عبدالله ابن المعتم الى العرب الذين كانوا مع الروم يدعوهم الى نصرته ، وكانوا لايخفون عليه شيئا • ولما رأت الروم المسلمين ظاهرين عليهم ، تركوا أمراءهم ونقلوا متاعهم الى السفن ، فأرسلت تغلب واياد والنمر الى عبدالله بالخبر ، وسألوه الأمان ، وأعلموه أنهم معه ، فأرسل اليهم : «ان كنتم صادقين فأسلموا»، فأجابوه وأسلموا ، فأرسل اليهم عبدالله : « اذا سمعتم تكبيرنا فاعلموا أنا أخذنا أبواب الخندق ، فخذوا الأبواب التي تلي دجلة واقتلوا من قدرتم عليه» •

ونهد عبدالله والمسلمون وكبروا ، وكبرت تغلب والنمر واياد وأخذوا الأبواب ، فظن الروم أن المسلمين قد أتوهم من خلفهم مما يلي دجلة ، فقصدوا الأبواب التي عليها المسلمون ، فأخذتهم سيوف المسلمين وسيوف العرب الذين أسلموا تلك الليلة ، فلم يفلت من الخندق الا من أسلم من تغلب واياد والنمر (١٦٩) •

وقد ضعف الصدقة على عرب الجزيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ورضى جميعهم الصدقة بدل الجزاء استرضاء للعرب واستمالة للنازحين منهم

(١٦٩) الطبري ( ٣٥/٤ ـ ٣٦ ) وابن الأثير ( ٥٢٣/٢ ـ ٥٢٤ ) .

الى بلاد الروم للعودة الى الجزيرة ، ولم يتساهل عمر هذا التساهل مع غير عرب الجزيرة .

وهذا مايدل على حرص عمر بن الخطاب على العنصر العربي ، وبذله ما استطاع لابقائهم وتوطنهم : «فصالحهم المسلمون ، ودفعت الارض اليهم ، ولم تسب نساؤهم ولا أولادهم» [170] .

ومن دراسة سير عمليات فتح الجزيرة ابتداءً من السبب المباشر لفتحها وهو حصار حمص من الروم ومن حلفائهم أهل الجزيرة ، وانتهاءً بالسبب غير المباشر لفتحها ، نجد أن أهل الجزيرة لم يقاتلوا كما ينبغي : في الثبات مع الروم في حصار حمص ، وفي الدفاع عن الجزيرة دفاعاً مشرفاً ، اذ انسحبوا من حصار حمص بسرعة الى بلادهم ، وخلفوا الروم وحدهم في حصار حمص ، كما لم يقاتلوا بضراوة دفاعاً عن بلادهم ، « فكانت الجزيرة أسهل البلدان أمراً، وأيسره فتحاً ، فكانت تلك السهولة مهجنة عليهم »[171] .

فما هو تعليل هذا التهاون في الثبات وفي الدفاع ؟!

لقد كان أهل الجزيرة ، وأكثرهم من العرب ، أشداء أقوياء ، وكان بمقدورهم الثبات بشكل أفضل مما فعلوا والدفاع أحسن مما قاتلوا ، وبخاصة وأن أكثر مناطق الجزيرة صالحة للدفاع المديد الموفق . ويبدو أن تعليل تهاونهم في الثبات مع الروم في حصار حمص وفي الدفاع عن بلادهم هو ، أن الجزيرة كانت تحت حكم الروم ولم يكونوا مستقلين ، والمستعبد لا يقاتل كما يقاتل المستقل ، لأن الأول يقاتل لمصلحة مستعبِده ، والثاني يقاتل لمصلحة بلاده ، وشتان بين القتالين وكما أن أهل الجزيرة كانوا محكومين من الروم ،

(١٧٠) فتوح البلدان ( ٢٤٣ ) .
(١٧١) الطبري ( ٤/٥٤ ) .

ولن يخسروا شيئاً اذا اصبحوا محكومين من العرب المسلمين ، بل ان العرب المسلمين أقرب اليهم من الروم ، لأن غالبية أهل الجزيرة من العرب ، كما أن المسلمين أرحم من الروم وأكثر عدلاً ، وقد كان معظم أهل الجزيرة من النصارى وكان الروم من النصارى أيضاً ، ولكن المسلمين أكثر تسامحاً من نصارى الروم الأرثدوكس مع نصارى أهل الجزيرة الذين كان ثمانون بالمئة منهم من النساطرة وعشرون بالمئة منهم من اليعاقبة ، وكان معظم عرب الجزيرة من النساطرة ، والعداوة بين الأرثدوكس والنساطرة واليعاقبة معروفة ، وكان للعداوة المذهبية أثر في اضمحلال الروم كما هو معروف (١٧٢) ، وكان المسلمون أكثر تسامحاً مع طوائف النصارى من الدولة الرومانية الشرقية (١٧٣) .

وبقدر شعور المسلمين الايجابي الذي تمثل في حرصهم الشديد على الاحتفاظ بالعنصر العربي في الجزيرة وعدم نزوح العرب من الجزيرة الى بلاد الروم ، فقد كان شعور عرب الجزيرة سلبياً تجاه المسلمين ، فما قاتل عربُ الجزيرة مع المسلمين الروم في أيام الفتح ، ولا كان لهم تأثير ايجابي في الفتح، وكل ادعاء يخالف ذلك لا سند له تاريخياً ، فقد استثار أهل الجزيرة الروم وكانوا معهم في حصار حمص ، وكانوا مع الروم في فتح تكريت والموصل وقرقيسياء ورأس عين وغيرها من المدن الجزرية ، فلما تبين لهم أن الروم لا يستطيعون مقاومة المسلمين الفاتحين ، تخلوا عن الروم وانحازوا الى الفاتحين، فكان أهل الجزيرة بعامة مع القوي دائماً على الضعيف ، ولم يعاون المسلمين

---

(١٧٢) أصبح الانقسام الديني في زمن هرقل شديداً ، الامبراطور ومن معه يقول بطبيعتين ومشيئتين ، واليعاقبة حزب آخر ، والنساطرة حزب ثالث ، مع احزاب دينية أخرى ، وكان لهذه الانقسامات تأثير شديد في السياسة لاختلاط السياسة عندهم بالدين ، انظر : تاريخ التمدن الاسلامي ( ١/٤٢ ) ــ الطبعة الأولى .

(١٧٣) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ( ١/٥٥ ) ــ آدم متز .

الفاتحين غير العرب الذين أسلموا من أهل الجزيرة ، وعاونهم غير العرب ايضاً من الذين أسلموا ، أما الذين لم يسلموا من أهل الجزيرة ، فكانت قلوبهم مع المسلمين الفاتحين وسيوفهم مع الغالب على المغلوب •

وبعد فتح الجزيرة ، أصبح أهل الجزيرة غير المسلمين ، يتمتعون بقسط عظيم من الحرية والاستقلال ، فكان لهم شأن آخر في الدفاع عن بلادهم ، غير شأنهم في الدفاع عنها أيام الروم ، والا لماذا لم يدافع اهل الجزيرة عن بلادهم قبل الفتح ، ودافعوا عنها دفاع الابطال بعد الفتح !!

والعبرة هي أن الاحرار المستقلين يدافعون عن بلادهم كما يدافع الرجال، أما العبيد المستعبدون فلا يقاتلون •

والعبرة الرئيسة والأخيرة ، هي أن فتح الجزيرة دليل" مادي قاطع ، على أن الفاتحين لم يكرهوا أحداً من غير المسلمين على اعتناق الاسلام ، فبقى النصارى الذين حفظوا دينهم من العرب وغير العرب على دينهم ، يمارسون طقوسهم الدينية علناً بحرية كاملة ، ولايزال أحفادهم منذ كان الفتح حتى اليوم على دينهم الذي ارتضوه لأنفسهم ، يعيشون جنباً الى جنب مع المسلمين في المدن والقرى والارياف الجزرية ، في حماية الاسلام والمسلمين مع كنائسهم وأديرتهم ، لا يمسهم مسلم حق بسوء ما داموا يحفظون عهودهم ومواثيقهم التي عقدوها وأبرموها مع المسلمين الفاتحين •

والادعاء بان الاسلام انتشر بالسيف ادعاء متهافت ، زوره الذين في قلوبهم مرض من الحاقدين على العرب والمسلمين ، وردده الأعداء والجاهلون بتعاليم الاسلام السمحة وبالتاريخ الاسلامي العريق •

واذا كان الاسلام قد انتشر بالسيف ، فكيف بقى غير المسلمين في قرى الجزيرة ومدنها واريافها على دينهم بعد الفتح وحتى اليوم ؟! ألم يكن بامكان

الفاتحين أن يحملوا غير المسلمين من أهل الجزيرة على الاسلام ؟ أكان باستطاعة أهل الجزيرة بعد الفتح البقاء على نصرانيتهم لو أن المسلمين أرادوهم على الاسلام ؟! ولماذا بقي قسم من أهل الجزيرة على دينهم الاول وأسلم قسم منهم مع من أسلم ، اذا لم يكن الخيار بيد أهل الجزيرة وهم أحرار في اختيار العقيدة التي يعتنقون ؟!

ولا يحتاج الاعاء بأن الاسلام انتشر بالسيف الى نقضه ، لأن (الواقع) يدحضه ، وبقاء النصارى وحتى يهود من أهل الجزيرة وبلاد الشام ومصر وبلاد الروم على دينهم بعد الفتح الاسلامي وحتى اليوم ، خير دليل على تهافت هذا الادعاء .

ولكن لا بأس من ذكر تعاليم الاسلام في الذميين والقتال بايجاز شديد، لأن الحق أبلج ، والباطل زاهق ، ولا بقاء لباطلٍ يدحضه الواقع الملموس وحقائق التاريخ والفقه الاسلامي العظيم .

ان الذمة في اللغة : الأمان والعهد ، وأهل الذمة هم المعاهدون من النصارى ويهود وغيرهم ممن يقيم في دار الاسلام[١٧٤] . وقد جاء في الحديث الشريف ... « ويسعى بذمتهم أدناهم .... » ، وفسّر الفقهاء ( ذمتهم ) بمعنى الأمان[١٧٥] ، ويؤيد ذلك ما قالوه في تفسير عقد الذمة بأنه اقرار بعض الكفار على كفرهم بشرط بذل الجزية والتزام أحكام الملة[١٧٦] . وعلى ذلك يمكن القول بأن عقد الذمة عقد يصير بمقتضاه غير المسلم في ذمة المسلمين ،

(١٧٤) القاموس المحيط ( ١١٥/٤ ) وشرح السير الكبير (١٦٨/١) ، فالمراد بالذمة العهد موقتاً كان او مؤبداً .

(١٧٥) كشاف القناع ( ٧٠٤/١ ) .

(١٧٦) كشاف القناع ( ٧٠٤/١ ) وكشف المخدرات ( ٢٥٦ ) .

أي في عهدهم وأمانهم على وجه التأبيد ، وله الاقامة في دار الاسلام على وجه الدوام [177] .

وقد شرع عقد الذمة بعد فتح مكة ، ويؤيد هذا أن آية الجزية المتضمنة عقد الذمة وهي قوله تعالى : ( قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية ... ) [178] .

وهذه الآية الكريمة نزلت في السنة التاسعة الهجرية أي بعد فتح مكة[179] .

أما حكمة مشروعية عقد الذمة ، فهي أن يترك المقاتل غير المسلم القتال، مع احتمال دخوله في الاسلام على طريق مخالطته للمسلمين واطلاعه على شرائع الاسلام ، وليس المقصود من عقد الذمة الحصول على المال [180] .

وعقد الذمة عقد لازم في حق المسلمين ، فلا يملكون نقضه مالم يظهر من الذمي ما يقتضى نقضه . وأما في حق الذمي ، فهو عقد غير لازم ، اذ يحتمل النقض من جهته [181] .

(177) احكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام (22) .
(178) الآية الكريمة من سورة التوبة ( 9 : 29 ) ، انظر تفسير هذه الآية الكريمة في الكشاف للزمخشري ( 2/29 ـ 30 ) وتفسير ابن كثير (4/144 ـ 145 ) وتفسير البغوي في هامش تفسير ابن كثير ( 4/143 ـ 145 ) والبيضاوي ( 3/65 ) .
(179) احكام القرآن للجصاص ( 1/142 ) .
(180) المبسوط ( 10/77 ) والكاساني ( 7/111 ) ونيل الأوطار للشوكاني ( 8/58 ) وشرح السير الكبير ( 3/254 ) : « لأنا انما قبلنا منهم عقد الذمة ليقفوا على محاسن الدين ، فعسى أن يؤمنوا » .
(181) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام (42) .

وحقوق الذميين على المسلمين : « لهم مالنا ، وعليهم ما علينا » ، وقد قال الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : « انما قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم كأموالنا ، ودماؤهم كدمائنا » (١٨٢) ، ومن شرح السير الكبير : « ولأنهم قبلوا عقد الذمة لتكون أموالهم وحقوقهم كأموال المسلمين وحقوقهم (١٨٣) » ، ويعلل بعض الفقهاء ، مساواة الذمى للمسلم في بعض التكاليف المالية ، بأن الذمى بعقد الذمة صار له ما للمسلمين وعليه ما على المسلمين (١٨٤) . ومن هذا يتضح، أن الذميين ـ كقاعدة عامة ، كالمسلمين في الحقوق والواجبات (١٨٥) .

وكان من حق الذميين التمتع بالحقوق السياسية ، كتولي الوظائف العامة عدا الخلافة (١٨٦) أي الامامة ، والامارة على الجهاد (١٨٧) ، فمن البديهي أن يكون رئيس الدولة الاسلامية مسلماً ، وأن يكون أمير المجاهدين مسلماً لأن الجهاد يلتزم به المسلم دون الذمى ، وان كان للذميين أن يشتركوا مع المسلمين في الدفاع عن دار الاسلام ويلتزموا هذا الواجب (١٨٨) .

وفيما عدا الوظائف القليلة التي يشترط فيمن يتولاها أن يكون مسلماً ، يجوز اشتراك الذميين في تحمل أعباء الدولة واسناد الوظائف العامة اليهم ، وقد دل على هذا الكتاب العزيز والسنة المطهرة . ففي الكتاب العزيز قوله تعالى : ( يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالا

(١٨٢) الكاساني (١١١/٧) ، وسنن الدار قطني (٣٥٠/٢) : «من كانت له ذمتنا، فدمه كدمنا » .

(١٨٣) شرح السير الكبير للسرخسي ( ٢٥٠/٣ ) .

(١٨٤) الكاساني (٣٧/٢) .

(١٨٥) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام (٧١) .

(١٨٦) ارشاد الى قواطع أدلة في اصول الاعتقاد (٤٢٧) ، ومتن المنهاج ومغنى المحتاج ( ١٢٩/٤ ـ ١٣٠ ) .

(١٨٧) الاحكام السلطانية للماوردي (٣٣) والاحكام السلطانية لأبى يعلى (٣) .

(١٨٨) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام (٧٨) .

ودوا ما عنتم قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ) [189] • وقد نزلت هذه الآية فيمن كان لهم ذمة وعهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم [190] ، وهي لم تنه المسلمين من اتخاذ بطانة منهم بصورة مطلقة ، وانما قيدت النهى بالقيود الواردة فيها ، )ي أن النهى منصب" على من ظهرت عداوتهم للمسلمين ، فهؤلاء لايجوز اتخاذهم بطانة • ومعنى هذا ان الذميين الذين لا تعرف لهم عداوة للدولة الاسلامية ، يجوز للمسلمين اتخاذهم بطانة يستودعونهم الأسرار ويستعينون برأيهم في شئون الدولة [191] • ومعنى هذا أيضاً جواز اسناد الوظائف العامة اليهم التي هي دون البطانة في المركز والأهمية •

وفي السيرة النبوية ما يؤيد قولنا ، من ذلك بصدد غزوة بدر الكبرى بين المسلمين بقيادة النبي صلى الله عليه وسلم وبين مشركي مكة ، فقد أسر المسلمون في هذه الغزوة سبعين أسيراً ، وكان من هؤلاء من لا مال له ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم فداءهم أن يعلموا أولاد الانصار الكتابة ، بأن يعلّم الواحد منهم عشرة من غلمان الانصار ويُخلى سبيله [192] ، فهذا الأثر يفيد أن النبي صلى الله عليه وسلم استخدم غير المسلمين في شأن من شئون الدولة الاسلامية ، وهو تعليم بعض المسلمين الكتابة • وفي السيرة النبوية أيضا ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لما توجه الى مكة سنة ست الهجرية ، ووصل الى مكان يدعى ( ذى الحليفة ) [193] ، بعث عينا منه من خزاعة يخبره

(١٨٩) الآية الكريمة من سورة آل عمران (٣ : ١١٨) •
(١٩٠) تفسير الطبري (٤/٦٣ — ٦٤) •
(١٩١) تفسير المنار (٤/٨١) •
(١٩٢) امتاع الاسماع للمقريزي ( ١/٣٩ ، ٤١ ) •
(١٩٣) زاد المعاد لابن القيم ( ٤/٢٠٢ ) •

عن قريش (١٩٤) ، وكان هذا العين كافرا (١٩٥) ، ومع هذا اسند النبي صلى الله عليه وسلم اليه هذه المهمة الخطيرة • ولاشك في أن النبي صلى الله عليه وسلم أمنه ووثق به واطمأن اليه ، مما يدل على جواز اسناد وظائف الدولة العامة الى الذميين ما داموا أهلا لها من حيث الكفاية والثقة والأمانة •

فالكتاب والسنة اذا ، يدلان على جواز اسناد الوظائف العامة الى الذمى مادام ثقة ذا كفاية ، وهذا في الحقيقة أقصى مايمكن من التسامح والتساهل مع المخالفين في الدين لا نجد له نظيرا في القديم والحديث • وفي ظل هذا التسامح الاسلامي الكريم ، صرح فقهاء الشريعة الاسلامية بجواز تقليد الذمى وزارة التنفيذ (١٩٦) ، ووزير التنفيذ يبلغ أوامر الامام ويقوم بتنفيذها ويمضي مايصدر عنه من أحكام (١٩٧) ، كما نص الفقهاء على جواز اسناد وظائف أخرى الى الذميين كجباية الجزية والخراج (١٩٨) •

واذا تجاوزنا أقوال الفقهاء الى واقع الدول الاسلامية ، نجد ان المسلمين في مختلف العصور يشركون أهل الذمة في أعمال الدولة • فعمر بن الخطاب رضى الله عنه حين جاءه سبى قيسارية جعل بعضهم في الكتابة وأعمال المسلمين (١٩٩) • وسليمان بن عبدالملك الخليفة الأموي عهد بالاشراف والنفقة على بنائه مسجد الجماعة ببلدة الرملة الفلسطينية الى كاتب نصراني يقال له : البطريق ابن النكا (٢٠٠) •

(١٩٤) ذو الحليفة : قرية بينها وبين المدينة ستة أميال أو سبعة باتجاه مكة ، ومنها ميقات أهل المدينة ، انظر معجم البلدان ( ٣/٣٢٩ ) .
(١٩٥) زاد المعاد ( ٤/٣١٢ ) .
(١٩٦) الاحكام السلطانية للماوردي ( ٢٤ ــ ٢٥ ) .
(١٩٧) الاحكام السلطانية للماوردي (٢٥) .
(١٩٨) الاحكام السلطانية للماوردي (١٢٦) والاحكام السلطانية لأبى يعلي (١٢٤).
(١٩٩) فتوح البلدان ( ١٩٣ ) .
(٢٠٠) فتوح البلدان ( ١٩٥ ) .

ولما فتح المسلمون مصر أبقوا العمال البيزنطيين ، وكان من هؤلاء شخص يدعى : ميناس ، كان هرقل قد ولاه أعمال المنطقة الشمالية من مصر . ومن الاشخاص المعروفين : أثناسيوس ، الذي شغل بعض مناصب الحكومة بمصر في زمن الأمويين ، حتى بلغ مرتبة الرئاسة في دواوين الاسكندرية ، وهكذا كانت عادة الأمويين في تعيين النصارى في وظائف الدولة ، وقلما خلا منهم ديوان من دواوينها ، حتى كان لمعاوية بن أبي سفيان كاتب نصراني اسمه سرجون . وفي زمن العباسيين ، عين الخليفة أبو جعفر المنصور يهوديا اسمه : موسى ، كان أحد اثنين في جباية الخراج . وعين المأمون أحد وجهاء : (بورة) [٢٠١] اسمه : بكام ، رئيسا لبلدته واقليمها . وقد تولى الوزارة في زمن العباسيين بعض النصارى أكثر من مرة ، منهم نصر بن هارون سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة الهجرية وعيسى بن نسطورس النصراني سنة ثمانين وثلاثمائة الهجرية [٢٠٢] .

وقد جاء في كتاب : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري لآدم متز : « ولم يكن التشريع الاسلامي ما يُغلق دون أهل الذمة أي باب من أبواب الاعمال ، وكان قدمهم راسخا في الصنائع التي تدر عليهم الارباح الوافرة ، فكانوا صيارفة وتجارا وأصحاب ضياع وأطباء » [٢٠٣] . « أما حياة الذمي عند أبي حنيفة وابن حنبل ، فانها تكافىء حياة المسلم ، وديته دية المسلم ، وهي مسألة مهمة جدا من حيث المبدأ . أما عند مالك فدية اليهودي

---

(٢٠١) بورة : مدينة على ساحل بحر مصر قرب دمياط ، انظر معجم البلدان ( ٢/٣٠٢ ) .

(٢٠٢) أهل الذمة في الاسلام ـ ا. س. ترتون ـ ترجمة حسن حبشي ـ طبعة سنة ١٩٤٩ ـ ص ( ١٦٩ ) .

(٢٠٣) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٢) نقلا من كتاب : الخراج لقدامة بن جعفر (٢٠٩) ـ ليدن ـ ١٨٨٩م .

أو النصراني نصف دية المسلم ، وعند الشافعي ثلثهـا »(٢٠٤) • «ولـم تكن الحكومة الاسلامية تتدخل في الشعائر الدينية لأهل الذمة ، بل كان يبـلغ من بعض الخلفاء أن يحضر مواكبهم وأعيادهم ويـأمر بصبيـانتهم »(٢٠٥) • « على أن الكنيسة الرسمية للدولة الرومانية الشرقية قد ذهبت في معاداتهـا للمسيحيين الذين يخالفون رجالها في التفكير أبعـد مما ذهب اليه الاسـلام بالنسبة لأهل الذمة ، فلما أعاد الامبراطور نقفور افتتاح جزء من بلاد الشام في القرن الرابع الهجري ـ العاشر الميلادي ـ كان مما وعد به أهل الشـام وأمنهم به أن يحميهم من مضايقة كنيسة الدولة ، ولكنه رغم هذا الامـان لم يأل جهدا في مضايقة اليعقوبيين ، فاضطرهم مثلا الى الخروج من أنطاكية ، لذلك نجد مؤرخي اليعقوبيين يصفون البطارقة الذين عينتهم الدولة في انطاكية بأنهم أضل من فرعون وأشد كفرا من بختنصر • ولما أعيد احتلال ملطية أخذ بطريرك اليعاقبة وسبعة من كبار أساقفتهم الى القسطنطينية وسجنوا هناك ، ووضع الملكانيون أيديهم على الكنيسة الكبرى في ملطية ؛ فأما البطريرك فانه مات منفيا على حدود بلغاريا ، وكذلك مات أحد أصحابه في السجن ، ورجم الثالث أمام قصر الامبراطور ، ورجع ثلاثة منهم عن المـذهب اليعقوبي وأعيد تعميدهم ، ولكنهم لم يجدوا السـكينـة التي يرجونهـا ، وصـاروا موضع السخرية كأنهم شياطين • وأخيرا لم يستطع رؤساء الكنيسة السريانية أن يقيموا في مقر بطريقهم بعد دخول المذهب الملكاني ـ وبعد أن أعيدت أنطاكية الى المسيحية كما يقول الملكانيون ـ فاضطروا الى الانتقال الى آمد طلبا لتسامح أكثر في بلاد المسلمين • ولقد منعت الكنيسة الرسمية نصـارى ارمينية من

(٢٠٤) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٣) .
(٢٠٥) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٤) .

استعمال النواقيس (٢٠٦) ، وكثيرا ماكان رجال السلطة المسلمون يتدخلون بين الفرق النصرانية لمنعهم من المشاجرات ، حتى عين حاكم أنطاكية في القرن الثالث الهجري رجلا يتقاضى ثلاثين دينارا من النصارى في الشهر ، وكان مقره قرب المذبح ، وعمله أن يمنع المتخاصمين من قتل بعضهم بعضا (٢٠٧) » . «وكان أهل الذمة يعاملون في مستشفيات بغداد معاملة المسلمين » (٢٠٨) . « ولما كان الشرع الاسلامي خاصا بالمسلمين ، فقد خلت الدولة الاسلامية بين أهل الملل الاخرى وبين محاكمهم الخاصة بهم ، والذي نعلمه من أمر هذه المحاكم ، أنها كانت محاكم كنسية ، وكان رؤساء المحاكم الروحيون يقومون مقام كبار القضاة أيضا ، وقد كتبوا كثيرا من كتب القانون . ولم تقتصر أحكامهم على مسائل الزواج ، بل كانت تشمل الى جانب ذلك مسائل الميراث وأكثر المنازعات التي تخص المسيحيين وحدهم مما لا شأن للدولة به » (٢٠٩) .

ولكثرة اسناد الوظائف العامة الى الذميين في الدولة الاسلامية ، وشيوع هذا الأمر ، قال آدم متز أحد مؤرخي الغرب : « من الامور التي نعجب بها كثرة عدد العمال والمتصرفين غير المسلمين في الدولة الاسلامية »(٢١٠) .

والدولة العثمانية ، وهي الدولة الاسلامية المتأخرة ، جرت على ما جرت

(٢٠٦) وهكذا فعلت الكنيسة الانكليزية مع الكاثوليك حتى القرن التاسع عشر، وكما لاتزال اسبانيا وصقلية تفعلان حتى اليوم مع البروتستانت .
(٢٠٧) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٥) .
(٢٠٨) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٧)
(٢٠٩) الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (٥٨) ، انظر التفاصيل في هذا الكتاب ( ٤٤ ـ ٧٦ ) .
(٢١٠) كتاب : الاسلام انطلاق لا جمود ـ الدكتور مصطفى الرافعي ـ دار مكتبة الحياة ـ بيروت ـ ١٩٥٩ ـ ص (١٦) ، وانظر : الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ـ آدم متز ـ ترجمة محمد عبدالهادي أبو ريدة ( ٦٧/١ ) .

عليه الدول الاسلامية الاخرى وزادت عليه ، فكانت تسند الوظائف المختلفة الى رعاياها من غير المسلمين ، وجعلت أكثر سفرائها ووكلائها في بلاد الأجانب من النصارى (٢١١) .

ومن هذا العرض الذي قدمناه ، يتضح لنا بجلاء أن اختلاف الذميين مع المسلمين في العقيدة ، لم يقم حائلا دون اشراكهم في ادارة شئون الدولة وتكليفهم بوظائفها ، وهذا يدل على مدى تسامح الاسلام والمسلمين معهم .

وتظهر هذه الحقيقة بجلاء اذا ذكرنا أن الدولة الاسلامية دولة عقيدية قامت على أساس الاسلام ولغرض تنفيذ أحكامه تنفيذا كاملا سليما في الداخل، والسعي الى نشره بكل وسيلة مشروعة في الخارج ، لأن الاسلام دعوة عالمية لا اقليمية . ودولة هذا شأنها لايكون مستغربا أن يتولى شئونها المؤمنون بعقيدتها ونظامها وغايتها ، بل لايكون مستغربا ألا يتولى شئونها غير المؤمنين بعقيدتها ، من شئونها العامة ما داموا لايؤمنون بما تؤمن به من عقيدة وغاية ونظام ولو حملوا جنسيتها . ولكن مع هذا نجد دولة الاسلام بتوجيه من الاسلام تتسع لغير المسلمين وتستح صدرها لهم ولاتضيق بهم ، بل تشركهم في أعباء الدولة والمساهمة في ادارة شئونها ، وهي تعلم أنهم يخالفونها في عقيدتها وغايتها ، وهذا أقصى ما يمكن من التسامح والثقة بالمخالف في العقيدة والدول العقيدية حتى في القرن الحاضر ، كالدول الشيوعية مثلا ، لاتعهد بشئون الدولة ووظائفها العامة الى غير الشيوعيين وان كانوا من رعاياها ، وحتى لو أقرت لهم بالمساواة في الحقوق السياسية مع غيرهم من المواطنين ، فانها عملا وواقعا لا تسمح لمن لا يدين بالشيوعية أن يتولى الوظائف العامة ، وأقصى مايمكن أن يطمح اليه غير الشيوعيين هو العيش بسلام وأمان لايمسهم

(٢١١) تفسير المنار ( ٤/٨٤ ) .

أذى من دولتهم (٢١٢) .

وقد نص القرآن الكريم بوضوح على طريقة معاملة المسلمين لغير المسلمين: ( لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من ديـاركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يحب المقسطين . انما ينهاكم الله عن الذيـن قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على اخراجكم ان تولوهم، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ) (٢١٣) .

واقرأ الآية الكريمة ، وهي من أواخر آيات القرآن نزولا ، فهي تحـدد أيضا علاقة المسلمين بغيرهم : ( اليوم أحلّ لكم الطيبات ، وطعام الذين أوتوا الكتاب حلّ لكم ، وطعامكم حلّ لهم ، والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن أجـورهن محصنـين غـير مسافحين ولا متخذي أخدان ، ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ) (٢١٤) .

من ذلك يُفهم أن علاقة المسلمين بغـير المسـلمين هي : بر ، وقسط ، وتعاون ، ومصاهرة ، ولايمكن أن تكون العلاقة بين أصحاب عقيدة بغيرهم الذين على غير عقيدهم بمثل هذه القوة والرسوخ .

تلك هي مجمل تعاليم الاسلام في أصحاب الذمة ، أما تعاليم الاسلام في القتال ، فيمكن أن تلخص في ثلاث كلمات : الاسلام ، أو الجزيـة ، أو القتـال .

لما نزل خالد بن الدليد الحيرة ، خرج اليه أشرافها مع اياس بن قبيصـة

(٢١٢) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام ( ٨٢ ـ ٨٣ ) .
(٢١٣) الآيتان الكريمتان من سورة الممتحنة ( ٦٠ : ٨ ـ ٩ ) .
(٢١٤) الآية الكريمة من سورة المائدة ( ٥ : ٥ ) .

الطائي [٢١٥] ، وكان أمّره عليها كسرى بعد النعمان بن المنذر ، فقال له خالد ولأصحابه : «أدعوكم الى الله والى الاسلام ، فان أجبتم اليه فأنتم من المسلمين، لكم مالهم وعليكم ما عليهم ، فان أبيتم فالجزية ، فان أبيتم الجزية فقد أتيتكم بأقوام هم أحرص على الموت منكم على الحياة ، جاهدناكم حتى يحكم الله بيننا وبينكم » ، فقال اياس بن قبيصة : « ما لنا بحربك من حاجة ، بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية»[٢١٦] .

ولما دخل وفد سعد بن أبي وقاص على كسرى قبيل معركة القادسية ، قال النعمان بن مقرن المزني [٢١٧] ـ وكان على الوفد ـ مخاطبا كسرى : « ان الله رحمنا ، فأرسل الينا رسولا يدلنا على الخير ويأمرنا به ، ويعرفنا الشر وينهانا عنه ، ووعدنا على اجابته خير الدنيا والآخرة... ثم أمرنا أن نبدأ بمن يلينا من الأمم ، فندعوهم الى الانصاف ، فنحن ندعوكم الى ديننا ، وهو دين حسّن الحسن وقبّح القبيح كله ، فان أبيتم فأمر من الشر هو أهون من آخر شر منه : الجزاء ، فان أبيتم فالمناجزة . فان أجبتم الى ديننا خلفنا فيكم كتاب الله ، وأقمنا على أن تحكموا بأحكامه ، ونرجع عنكم وشأنكم وبلادكم، وان اتقيتمونا بالجزاء قبلنا ومنعناكم ، والا قاتلناكم »[٢١٨] .

واذا استقصينا كلام قادة الفتح كافة في مفاوضاتهم أهل البلاد الذين يريدون فتحها قبل الاقدام على القتال ، لوجدناه يتلخص في ثلاث كلمات : الاسلام ، أو الجزية ، أو القتال .

وليس عجيبا أن يتفق كل القادة الفاتحين في كل البلاد المفتوحة ، على

(٢١٥) الخراج لأبي يوسف (١٧) .
(٢١٦) الطبري ( ٣/٣٤٤ ) .
(٢١٧) انظر سيرته المفصلة في كتاب : قادة فتح بلاد فارس ( ٩٧ ـ ١٠٧ ) .
(٢١٨) الطبري ( ٣/٤٩٨ ـ ٤٩٩ ) وابن الأثير ( ٢/٤٥٦ ـ ٤٥٧ )

هذه الكلمات الثلاثة ، لأن هذه الكلمات هي روح تعاليم الاسلام في القتال ، اذ تقضي هذه التعاليم ، بأنه اذا أراد المسلمون غزو بلد وجب عليهم ــ أولا ــ أن يدعوا أهله الى الدخول في الاسلام ، فان أسلموا كانوا هم وسائر المسلمين سواء ، وان لم يسلموا دعوهم الى أن يسلّموا بلادهم للمسلمين ويحكمونها ، ويبقوا على دينهم ان شاؤوا ويدفعوا الجزية ، فان قبلوا ذلك كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما عليهم ، وكانوا في ذمة المسلمين يحمونهم ويدافعون عنهم، وان لم يقبلوا الاسلام ولا الدخول تحت حكمه ودفع الجزية ، أعلنت عليهم الحرب وقوتلوا »(٢١٩) .

تلك هي المبادىء التي تسيطر على تعاليم الاسلام في القتال : الاسلام ــ الجزية ــ القتال .

وليس هناك بين تلك المبادىء الاكراه على اعتناق الاسلام ، فاذا مادفعوا الجزية أقاموا على دينهم : « ... بل نقيم على ديننا ونعطيك الجزية »(٢٢٠) ، كما قال أهل الحيرة لخالد بن الوليد ، وأضعف عمر بن الخطاب رضي الله عنه الصدقة على نصارى بني تغلب عوضا عن الجزية ، فقالوا : « أما اذا لم تكن جزية كجزية الأعلاج ، فانا نرضى ونحفظ ديننا »(٢٢١) ، وبنو تغلب من نصارى الجزيرة . وقد بقى على دينهم سائر أهل الكتاب في سائر البلاد المفتوحة من الذين لم يُسلموا وأعطوا الجزية للمسلمين الفاتحين ، فلم يكرههم المسلمون الفاتحون على الاسلام ، تطبيقا لتعاليم الاسلام في القتال ولتعاليمه التي نصت عليها الآية الكريمة : ( لا اكراه في الدين ، قد تبين الرُشد من

---

(٢١٩) انظر فجر الاسلام ( ١٠٩ ) ــ احمد امين ــ الطبعة الثالثة .
(٢٢٠) الطبري ( ٣/٣٤٤ ) .
(٢٢١) فتوح البلدان ( ٢٥٠ ) .

الغَيِّ ) (٢٢٢) .

ان الادعاء بأن المسلمين الفاتحين نشروا الاسلام بالسيف بعيد عن الواقع والحق والصواب .

فالواقع ، يثبت أن أحفاد غير المسلمين الذين لم يُسلموا وأعطوا الجزية ، بقوا على دينهم ومارسوه بحرية ، ولا يزال أحفادهم يعيشون في بلاد المسلمين بعد الفتح وحتى اليوم .

والحق ، يثبت أن النصوص التاريخية المعتمدة ، تشهد أن المسلمين الفاتحين دعوا أهل البلاد المفتوحة الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلوهم بالتي هي أحسن ، فاستجاب لهم من استجاب ، وبقي من بقي على دينه من أهل الكتاب بعد دفع الجزية للمسلمين الفاتحين مقابل الدفاع عنهم ، والذي دافع عن بلاده منهم مع المسلمين وضعت عنه الجزية وسقطت عنه(٢٢٣)، فقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم هاديا ولم يُبعث جابيا .

والصواب ، يثبت أن الاكراه في الدين ليس من الاسلام في شيء ، وأن المسلمين لايكرهون أحدا على الاسلام ، والعالم الاسلامي اليوم وقبل اليوم مكون من قسمين : البلاد المفتوحة ، والبلاد غير المفتوحة ، وتعداد المسلمين في البلاد غير المفتوحة أكثر من تعدادهم في البلاد المفتوحة ، فاذا صح أن المسلمين الفاتحين حملوا غير المسلمين على الاسلام في البلاد التي فتحوها بالسيف ، فمن حمل غير المسلمين في البلاد التي لم تفتح على الاسلام ؟ !

من نشر الاسلام في الهند والصين وأندونوسيا وماليزيا والفلبين وفي

---

(٢٢٢) الآية الكريمة من سورة البقرة ( ٢/٢٥٦ ) ، وانظر تفسيرها في : تفسير ابن كثير (٢/١٥ ـ ١٦ ) والبغوي (٢/١٦ ـ ١٧ ) وفي ظلال القرآن (٣/ ٢٩ ـ ٣٠ ) .

(٢٢٣) انظر التفاصيل في : قادة فتح العراق والجزيرة ( ٥٢٥ ـ ٥٣٢ ) .

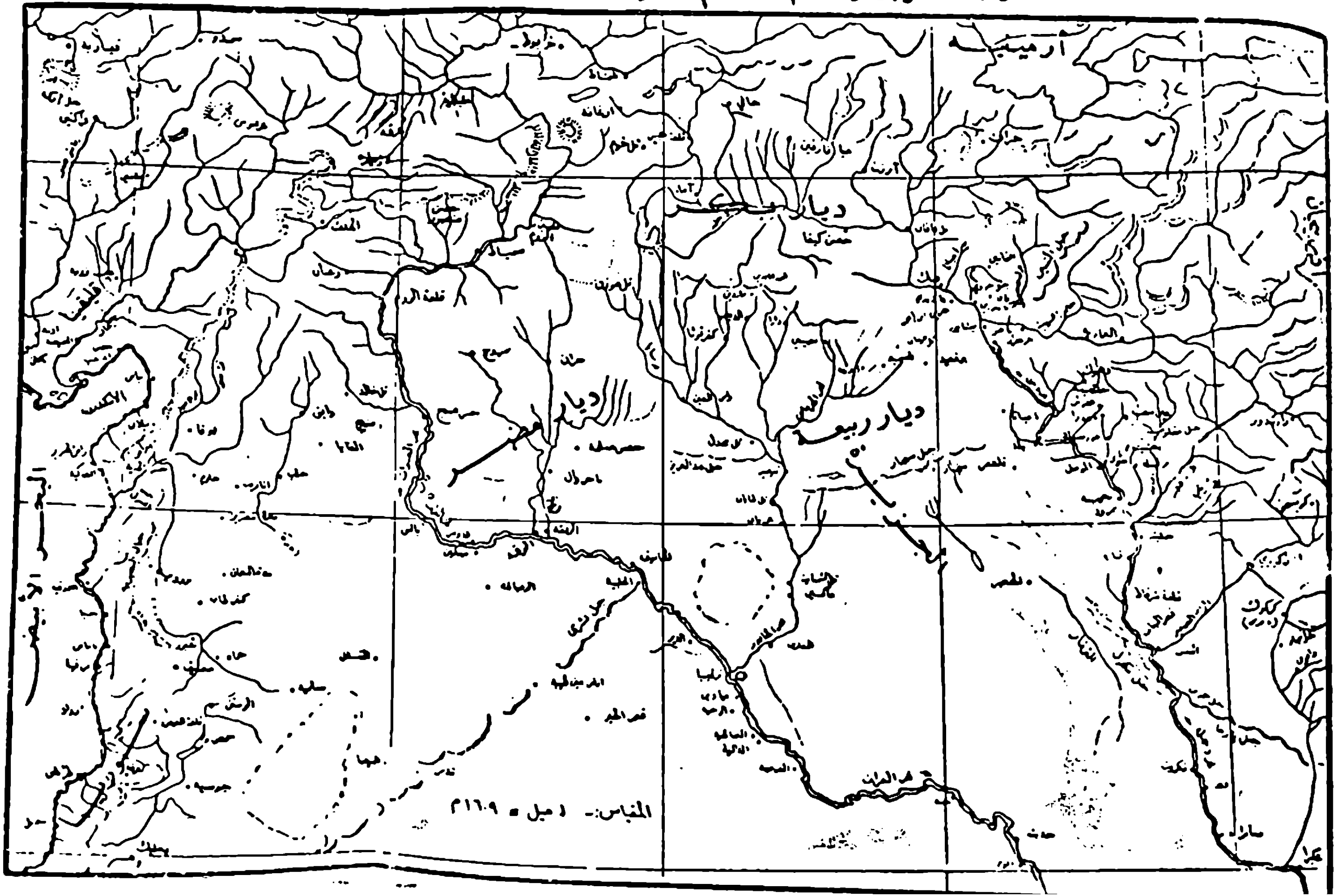
مجاهل افريقية وفي أوروبا وأمريكا ، وهي بلاد لم يصل اليهـا المسلمـون الفاتحون ؟ !

لقد كان الجهاد حربا عادلة ، واتسم الحكم الاسلامي بالعدل والانصاف والحرية ، وحمل المسلمون المبادىء الاسلامية لغة وتشريعا وعقيدة ومثلا علياً في يد ، وحملوا السيف وأسلحة النصر في يـد أخرى ، لذلـك كان الفتح الاسلامي فتحا مستداما منذ كان حتى اليوم ، وسيبقى حتى يرث الله الارض ومن عليها ، خلافا لانتصارات من كان قبلهم ومن جاء بعدهم ، لان انتصارات المسلمين الفاتحين انتصارات مبادىء بالدرجة الاولى لا انتصارات سيوف .

ان المسلمين الفاتحين حملوا الاسلام الى البلاد المفتوحة بالفتح ، ولكنهم لم يحملوا أهل تلك البلاد على الاسلام بالفتح .

* * *

خارطة الجزيرة والشام واقاليم العواصم والثغور



# الفهرس


ص

**اللواء الركن محمود شيت خطاب**

بلاد الجزيرة قبل الفتح الاسلامي وفي أيامه ........ ٣

**الدكتور جـواد علي**

مصطلحات الزراعة والري في كتابات المسند ........ ٥٣

**الدكتور نوري حمودي القيسي**

أدب الأديرة ١٠٣

**الدكتور ابراهيم السامرائي**

ذيـل تاريخ بغداد ........ ١٢١

**الدكتور فاضل صالح السامرائي**

حذف الفعل في الاغراء والتحذير ........ ١٧١

**الدكتور حاتم صالح الضامن ( تحقيق )**

ما لم ينشر من الحلبة ( للصاحبي التاجي ) ........ ١٨٠

**الدكتور فاروق عمر فوزي**

حول طبيعة الحركة الشعوبية ........ ١٩٧

**الاستاذ محمود جاسم الدرويش ( تحقيق )**

اسماء الاسـد ( لابن خالويه ) ٢١٦

**الاستاذ غانم قدوري حمد ( تحقيق )**

كتاب التنبيه على اللحن الجلي واللحن الخفي ( للسعيدي ) ........ ٢٤٠

**الدكتور هاشم طـه شلاش**

ملحوظات على ( العباب الزاخر واللباب الفاخر )
تحقيق د. فير محمد حسن ) ........ ٢٨٨

# الفهرس


| المحتوى | الصفحة |
| --- | --- |
| القسم الثاني : الموارد الاقتصادية للإقليم | 3 |
| تاريخ إقليم الجزيرة قبل الفتح الإسلامي وفي أيامه الأولى | 12 |
| فتح الجزيرة | 13 |
| 1 - الموقف العام | 13 |
| 2 - فتح عياض | 18 |
| 3- فتح سهيل | 21 |
| 4- فتح عبد الله بن عتبان | 22 |
| 5- فتح الوليد بن عقبة | 22 |
| 6- فتح عمير بن سعد | 24 |
| 7 - مجمل الفتح | 26 |
| عبرة الفتح | 30 |
| خارطة الجزيرة والشام واقليم العواصم والثغور | 52 |
| المحتويات | 54 |


تنويه: هذا الفهرس ليس من أصل الكتاب ؛ وإنما أعددته تسهيلاً للوصول الى المواضيع .

م. سرمد حاتم شكر السامرائي